جامعة عبد الرحمان ميرة ـ بجاية
كلية الأدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة :

رحلـــة ابن حمــادوش الـجزائــري
مقاربة موضوعاتية

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص أدب عربي قديم

إعداد الطلبة:

لـيندة مـرابـط

فـروجـة مـوهـو

إشراف الأستاذ:

محـمد فـلاق

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

الـــدعـاء

"لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها
لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت
ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
ربّنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين
من قبلنا
ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنّا واغفر لنا
وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين"

كلمة شكر

اللهم لك الحمد و الشكر ، و أنت المستعان و أفضل الصلاة و السلام على نبيك المصطفى العدنان ، و على أله و صحبه و من تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

كلمة الشكر هي أقل ما أُقَابِلُ به أفاضِل أولئك الذين ساهموا في تحفيزنا على إنجاز هذا العمل ، و نشكر أهل الفضل على ما قدموا لنا من مساعدة .

نتقدم بخالص الشكر و التقدير للأستاذ " فلاق محمد " الذي قَبِلَ بالإشراف على هذا البحث ، فلم يبخل علينا بإرشاداته و نصائحه في إعداد هذا المشروع وإخراجه بهذه الصورة ، فبارك الله فيه و أكثر من أمثاله .

و الشكر موصول إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل .

إهـــداء

إلى كل من علمني علما نافعا ولو حرفا، إلى كل من أنار لي الطريق إلى النجاح إلى من أرشدني وعلمني، أتقدم بالشكر والعرفان الجزيل لهم.

والشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى الأب الغالي والأم الغالية فهما اعز النعم التي انعم الله بها علينا فكانا لي السند و العون لإعداد هذا البحث من خلال توفير الجو الملائم للدراسة.

و إلى أخواتي شفيعة ،غانية ، دليلة ، عديلة ، وردية ، نوارة ، و أخي محند أكلي و إلى كل الأهل و الأقارب .

إلى كل من عشت معهن أجمل ذكريات عمري و من أكن لهن صدق الوفاء

و المحبة فكن نعم الرفيقات دنيا ، صارة ، إيمان ، رندة ، سليا .

و إلى أستاذنا الفاضل فلاق محمد الذي أفادنا من علمه مما ساعدنا في إعداد هذا المشروع وإخراجه بهذه الصورة التي اجتهدنا أن تكون بأفضل صورة قدر المستطاع... .

إلى أغلى الناس على قلبي و إلى من أشاركهم الحب و العاطفة فأنتم

في صميم قلبي و ذاكرتي .

والشكر أيضا إلى كل من يقرأ هذا البحث بغرض الإطلاع والاستفادة منه ومن ثم المقدرة على التحديث والتطوير والوصول إلى الأفضل بإذن الله .

إلى من تسعهم ذاكرتي و لا تسعهم مذكراتي .

ليندة

إهـــداء

إلى من لونت عمري بجمالها و حنانها ، و سهرت و ضحت لراحتنا حتى تراني مرتاحة وشملتني بعطفها و رعايتها أمي الحبيبة و الغالية " حكيمة " .

إلى من أفنى حياته من أجل تربيتي و تعليمي و كان سندي و رفيقي في مشواري أبي الحنون " أمحند " .

إلى من أرى فيه الأمل أخي " فاهم " .

إلى رفيقات دربي و سندي إخوتي حنان ، ليندة ، غاية ، و الكتكوتة الصغيرة "مليسة" .

إلى من عجز اللسان عن وصف الشكر له بمساندته لي و علمني أن الحياة صبر وتحدي خطيبي سمير .

إلى من قضيت معهن أحلى الأيام أعز صديقات على قلبي حجيلة ، كاهنة ، سامية ، وسام ، ليندة ، ليدية .

إلى من تقاسمت معها في إنجاز هذا العمل المتواضع ليندة .

إلى من لم أذكره في مذكرتي فأنا لم أنساه فهو في قلبي و ذاكرتي .

فروجة

مقدمة

الحمد لله لا إله سواه ، نحمده حمدًا كثيرًا طيبا مباركا فيه ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ، و من يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا ، و الصلاة و السلام على سيدنا الكريم خاتم النبيين و المرسلين من كان رحمة للعالمين و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا .

لطالما عرف الإنسان بحبه للحركة و التنقل ، فكانت الحركة بالنسبة له روح الحياة ، و مع تزايد الحاجات تزداد رغبة الإنسان في التنقل و السفر للاستكشاف والبحث .

قد تعددت دواعي الرحلة ، و تنوعت وجهاتها ، فكثرت أسبابها ما بين أسباب اختيارية وأخرى اضطرارية، و قد بدأ اهتمام العرب بأدب الرحلة في المراحل الأولى لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، حيث كانت أولى الرحلات هي تلك الرحلات التي قام بها وألف عنها العلماء و الرواة لجمع الشعر العربي ، و جمع كل ما يتعلق بحياتهم و سيرهم ، ولجمع الحديث النبوي أيضا ، لهذا عدت الرحلة من بين أهم الوسائل و الطرق المعتمدة في تحقيق العلوم و تحصيلها و نشرها .

نظرًا لأهمية أدب الرحلة ، فقد وجّهنا بحثنا لدراسة رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال " دراسة موضوعاتية، قصد التعرف أكثر على هذه الرحلة و ما تحتويه من موضوعات ومعلومات وأخبار عن شخص مؤلفها وعصره . والتي أثارت عندنا مجموعة من التساؤلات، هي:

ما مفهوم الرحلة وأدبها ؟ و من هو عبد الرزاق بن حمادوش ؟ و ما مضمون رحلته ؟ وما هي الآليات الإجرائية المتبعة في التحليل الموضوعاتي ؟ وما أهم الموضوعات التي تناولها في رحلته ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، قمنا بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تضم أهم النتائج .

تناولنا في الفصل الأول موضوع أدب الرحلة، فعرفنا بالمصطلح لغة و اصطلاحا وقدمنا أهم التعاريف لأدب الرحلة المأخوذة من مختلف المراجع ، ثم تطرقنا إلى ذكر دوافع الرحلة وأغراضها وأنواعها ، ثم قدمنا تعريفا لابن حمادوش الجزائري وملخص لرحلته.

أما الفصل الثاني فكان للتعرف أكثر على المنهج الموضوعاتي ، بدأناه بتقديم تعريف لمصطلح الموضوعاتية لغة واصطلاحا وتقديم لمحة عن نشأة وتطور المنهج الموضوعاتي وأهم أعلامه والمقولات والآراء والاتجاهات فيه ، وكذا الآليات الإجرائية المتبعة في التحليل الموضوعاتي.

أما فيما يخص الفصل الثالث فكان للبحث في مختلف الموضوعات التي ضمها نص رحلة ابن حمادوش الجزائري، موظفين في ذلك المنهج الموضوعاتي ، ومن أهم الموضوعات المستخرجة من الرحلة نذكر : السير والتراجم ، التصوف ، العادات والتقاليد ، تأليف الكتب، التأريخ ، حياة المؤلف وسيرته ، النصوص الأدبية ، الإجازة .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الموضوعاتي والوصفي أساسا ، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي.

خلال إنجازنا لهذا البحث واجهتنا بعض الصعوبات منها : صعوبة حصولنا على بعض المصادر و المراجع ، ومنها بالأخص رحلة ابن حمادوش الجزائري " لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال " فقد كانت متوفرة في المكتبة لكنها ضاعت، الشيء نفسه مع كتاب أبو القاسم سعد الله " الطبيب الرحالة ابن حمادوش "، بالإضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت موضوع أدب الرحلة عامةً و ابن حمادوش خاصةً .

و في الأخير ، لا يسعنا إلا أن نتوجه إلى المولى عز وجل بالدعاء أن نكون قد وفقنا فيما قدمناه في هذا البحث ، فالحمد لله أولاً و آخرًا ، كما نتقدم بالشكر إلى كل من مدّ لنا يد المساعدة من قريب و بعيد ، و نخص بالذكر الأستاذ المشرف " محمد فلاق " لما له

من فضل في التوجيه و الإشراف ، و متابعته لهذا البحث خطوة بخطوة ، كما نتوجه بالشكر إلى اللجنة المناقشة على دورها في إثراء هذا العمل وتقويمه ، و الله الموفق .

الفصل الأول : أدب الرحلة

1. مفهوم الرحــلة

أ . لغة

ب . اصطلاحا

2. مفهوم أدب الرحلة

3. دوافع الرحلة و أغراضها و أنواعها

أ . دوافع الرحلة و أغراضها

ب . أنواع الرحلة

4. التعريف بابن حمادوش الجزائري

5. ملخص الرحلة

تاريخ الإنسان حافل بمحاولات التعرف على العالم الخارجي والسيطرة عليه والتغلب على صعوباته، و قد ناضل الإنسان " أولا القوى الحيوانية التي تحول بينه وبين هذه السيطرة ، ثم أخذ يناضل القوى الإنسانية ، فتكونت القبيلة ثم تكونت الأمة ، و اندفعت من إقليمها إلى الأقاليم المجاورة تكتشف أفاقًا جديدة".[1]

نجد في التراث العربي القديم و بالتحديد في الجاهلية قبل ظهور الإسلام ، أن العرب قديما كانت تقوم برحلات منتظمة بهدف التجارة و هما رحلتان أساسيتان الأولى شتاء والثانية صيفاً،و قد ذكر ذلك في القرآن الكريم ، قال الله تعالى:﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾ . [2]

إن أدب الرحلة نوع من أنواع الآداب التي تنبعث من الوصف للواقع ، والذي يهتم بانطباعات الرحالة ، وفيه يصور الرحالة ما جرى له من أحداث أثناء رحلته ، ووصفا لمختلف العادات والتقاليد الشعوب التي مر عليها ، مستندا على عنصر الزمان أثناء سرده لمجريات رحلته ، لذا نجد رحلته تتسم بنوع من التسلسل في سرد مختلف الأحداث .

يعتبر "أدب الرحلة" من المصطلحات التي يصعب حصرها و تقنينها ، و ذلك لدمجها بين موضعيين " الأدب و الرحلة ". وعلى الرغم من هذا فإّن مشكلة الفصل في تعريف أدق لهذا الجنس لا تزال قائمة لاختلاف الباحثين و الدارسين في تسمية هذا اللون.

[1]- شوقي ضيف ، الرحلات ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، ص 7 .
[2]- سورة قريش ، الآيات 1 و 2 .

1- مفهوم الرحـلة:

أ- الرحـلة لـغـة :

نالت مادة " رحل " اهتماما خاصا من (صاحب اللسان) ، باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع ، و نابعة من واقع البيئة العربية. جاء في " لسان العرب " أن: " الرحيل و الارتحال بمعنى الإشخاص و الإزعاج .يقال: رحل الرجلّ إذا سار، وأرحلته أنا. و رحل رَحُول و قوم رُحَّلٌ : أي يرتحلون كثيرًا ، و رجل رحّال : عالم بذلك مُجيد له ...".[1]

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي: "ارتحل البعيرُ : سار و مضى ، و القوم عن المكان ; انتقلوا ، كَترحّلُوا. والاسم : الرّحلة بالضم وبالكسر، أو بالكسر: الارتحال؛ وبالضم : الوجه الذي تَقصده ، و السفرة الواحدة " .[2]

وكذا وردت في قاموس "البلدان" ل"ياقوت الحموي" على أنها اسم أو لقب لبعض الجاهليين ، وهذا الاسم " رحال بن عنقرة ".[3]

إذن، فمعاجم اللغة تُجمع على أن الرحلة هي انتقال من مكان إلى أخر.

ب- الرحلـة اصطـلاحا :

تعتبر الرحلة عنصر أساسي في حياة المستكشف والباحث لكونها " كتابة يحكي فيها الرحّالة أحداث سفره و ما شاهده و عاشه ، مازجًا ذلك بانطباعاته الذاتية حوّل

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، تح عبد الله على الكبير و آخرون ، مج 3 ، ج18 ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت، ص 1609 .

[2]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط 8 ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 2005 ، ص 1005 .

[3]- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، م5، دار صادر ، بيروت ، 1986 ، ص405 ، نقلا عن : ناصر عبد الرزاق الموافي ، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة ، ط1 ، 1995 ، ص24 .

المرتحل إليهم ، و إنجاز الرحلة أي كتابتها يتطلب أن يكون الرحّالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة ، و الرحلة بهذا المعنى أي بما هي كتابة وخطاب حال اشتغال و اهتمام الباحثين بها " . [1]

إن الرحلة باعتبارها كتابة هو ما يسميه الباحث سعيد يقطين :"خطاب الرحلة "، يعرّفه بأنه عملية تلفيظ لفعل الرحلة و هذا ما يعني انه خطاب يتماشى مع الرحلة ويسعى لمواكبتها من البداية إلى النهاية[2] .

يرى أن خطاب الرحلة " يتماشى مع الرحلة وعوالمها، و يسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية "[3]، فيبدأ الخطاب من لحظة الخروج و ينتهي لحظة العودة .

تنظر صلاح الدين الشامي إلى أن "الرحلة باعتبارها إنجازًا أو فعلاً فرديًا أو جماعيًا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة ، و إسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين ، و يجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان و حركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر ..... وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان و ترضيه ، و قد تكون احترافًا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه ، ولكنها تكون – في الحالتين – استجابة مباشرة لحوافز و دوافع محددة تدعو بكل الإلحاح للحركة و التنقل".[4]

يستنتج ناصر عبد الرزاق الموافي من التعاريف السابقة " أن الرحلة في جوهرها حركة ، و هذه الحركة ذات هدف – و إلا كانت سفها – قد يتحقق و قد لا يتحقق،

---

[1]- جميلة روباش ، أدب الرحلة في المغرب العربي ، رسالة دكتوراه ، جامعة خيضر بسكرة ، الجزائر ، 2015 ، ص 8.

[2]-ينظر: سعيد يقطين ، السرد العربي ، مفاهيم و تجليات ، ط 1 ، رؤية لنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2006 ، ص 200.

[3]- المرجع نفسه ، ص 200 .

[4]- ينظر: صلاح الدين الشامي ، عالم الفكر ، عدد يناير 1983 ، الكويت ، ص 13 ، نقلا عن : ناصر عبد الرزاق الموافي ، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة ، ط1 ، 1995 ، ص24-25 .

وسيتم – في الحالتين كلتيهما – اكتساب خبرات علمية و فكرية ناجمة عن المخالطة، و بذلك يتم التقابل بين الرحلة في اللغة و الاصطلاح حيث يجمعهما أنهما (حركة) "[1].

نتوصل مما سبق إلى المعاني المرتبطة بالنظر إلى الرحلة كفعل قائم على الحركة و التنقل بحيث يقوم بها الشخص لاكتشاف الحياة على الأكوان المختلفة قصد التعايش مع مستجدات الحياة المختلفة .

[1]- ناصر عبد الرزاق الموافي ، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة ، ط1 ، 1995 ، ص 25 .

2 – مفهوم أدب الرحلة :

كان مفهوم أدب الرحلة محط اهتمام الجميع، نظرًا لاحتوائه على العديد من القصص والأحداث التي تسهم في نقل صورٍ تاريخية للقراء، فأدب الرحلة " نوعٌ من أنواع الأدب القديم الذي عُرف في الماضي ، وارتبط بالرحلات التي كان يسافرُ فيها الرحالةُ العرب لاكتشاف أرضٍ جديدة لتم تكن معروفة في السابق ، وأيضًا يعرفُ أدب الرحلة بأنه كافة المؤلفات ، والمدونات والمخطوطات التي وصلتنا من العصور الماضية ، والتي تحتوي على مجموعة من المشاهدات ، والقصص التي عاصرها الرحالةُ في الأماكن التي وصلوا إليها" [1].

و يشمل أدب الرحلة على نقل "مواصفات الطبيعة الموجودة في مناطق العالم غير المكتشفة، و أيضًا يحتوي على سردٍ حول العادات ، و التقاليد السائدة عند الشعوب الذين عاشوا في تلك الأراضي والمناطق"[2].

تطرق إنجيل بطرس بدوره إلى تعريف أدب الرحلات بأنه " ما يمكن أن يُوصف بأدب الرحلة الواقعية ، و هي الرحلة التي يقوم بها رحّالة إلى بلدان العالم ، ويدون وصفًا له ، يسجل فيه مشاهداته و انطباعاته بدرجة من الدقة و الصدق، و جمال الأسلوب و القدرة على التعبير " .[3]

في حين يعرفه ناصر عبد الرزاق الموافي بأنه " فن قائم بذاته ، له أصوله وقواعده الفضفاضة ، التي تتيح له قدرا كبيرا من المرونة و القدرة على التطور و التلون حسب مقتضى كل فرد ، أو عصر ، أو بيئة " . [4]

---

[1]- مجد خضر ، مفهوم أدب الرحلة ، مقال في موقع https://mawdoo3.com اطلع عليه بتاريخ25 سبتمبر 2016 \08:31 .

[2]- المرجع نفسه.

[3]-إنجيل بطرس ، الرحلة في الأدب الانجليزي ، مجلة الهلال ، العدد 7 ، مصر ، يوليو 1975 ، ص 52 .

[4]- ناصر عبد الرزاق الموافي ، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري) ، ص 41 .

من خلال هذه التعريفات المتعددة، ننتهي إلى القول بأن أدب الرحلة فن نثري يقوم على عنصر الرحلة التي يقوم بها رحالة أي شخص في الواقع ، وينقل للقارئ ما يصادفه في طريقه من معالم وأحداث ، وما تثيره فيه من انطباعات وأفكار.

3 – دوافـع الرحلــة و أغراضـها و أنواعـها :

يرى عبد الله حمادي أن " الرحلة سواء كانت برية أو بحرية أو كانت من إنجاز فردي أو جماعي تعتبر محاولة لاختراق حاجز المسافات و إسقاط الفاصل الجغرافي بين المكان و الزمان"[1].

ينطلق هذا التعريف من أحد أهم أغراض الرحلة وهو الاختراق و محاولة معرفة الأخر لتقريب المسافات مهما بعدت ، و قد تكون دوافع الرحلة حاجة ذاتية لإشباع رغبة النفس في حب الإطلاع .

أ– دوافــع الرحلــة و أغراضــها :

إنه من الأكيد أن الدوافع التي تشجع الإنسان و تدفعه إلى الرحلة كثيرة ومتنوعة و تختلف من شخص لأخر، و من زمن إلى أخر [2]، من أهمها نذكر:

1 – دوافع دينية :

كالرحلة لزيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج أو العمرة طلبًا للرّحمة والمغفرة ، وزيارة القبور والمقامات ، وملاقاة شيوخ الطرق الصوفية ونشر تعاليم الإسلام.[3]

2 – دوافع اقتصادية :

كان الإنسان منذ القدم ، يحل و يرتحل من مكان لأخر بحثًا عن الطعام سواء له أو لعائلته أو ماشيته ، ويحترف التجارة وحرفة " تبادل السلع أو لفتح الأسواق الجديدة لمنتجات محلية ، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلاد المسافر،

[1]- عبد الله حمادي ، أصوات من الأدب الجزائري الحديث ، دار البعث ،قسنطينة ، الجزائر ، 2001، ص 108 .
[2]- ينظر:فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص 19.
[3]- ينظر:المرجع نفسه ، ص 19.

و قد يكون هربًا من الغلاء و سعيًا وراء الرخص و اليسر و الوفرة أو العمل " .[1] وقد يكون الغرض بحثا عن فرص عمل أو لترويج منتج أو التعريف به، إلى غير ذلك من الدوافع الاقتصادية.

3 – دوافع سياسية :

كثرت – أيضا – رحلات الدبلوماسيين ، و أعضاء الوفود التي يبعث بها الحكام من أجل تبادل وجهات النظر، و توثيق العلاقات ، أو تمهيدًا لعقد اتفاقيات ، أو لفض المنازعات ، أو لمناقشة شؤون الحرب و السلام ، أو تمهيدًا لفتحٍ أو غزوٍ[2].

4 – دوافع علمية و تعليمية :

رحل طلاب العلم شرقاً و غرباً للاستزادة من بحور العلم الذائع صيتها في مختلف المجالات ، حيث لا تتوافر على النحو المأمول في بلاد بعينها و تتوافر في غيرها ، و هذا الغرض يكثر الارتحال لأجله.[3]

لهذا الغرض كانوا يقطعون مسافات طويلة لتحقيقه ، و للوصول إلى منطقة من العالم اشتهرت بعلم من العلوم أو بشتى العلوم للاستزادة و التثقف.

5 – دوافع ثقافية و سياحية :

يندفع الرحالة إلى نوع معين من الرحلات كلٌ حسب ميله ، و نجد منهم من يندفع نحوها رغبة في الثقافة و المعرفة. أو استجابة لإحساس منبعث من نداء النفس المغامرة و حب التطلع ، و معرفة المسالك و المماليك ، للتمتع بعجائب و غرائب

[1]- فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص 20 .
[2]- ينظر:المرجع نفسه ، ص 20 .
[3]- ينظر:المرجع نفسه ، ص 19-20.

الكون و خوض المغامرات و التأمل في جمال الطبيعة و عجائب و غرائب الخلق – سبحانه و تعالى – ، و تغيير الأجواء و الترويح عن النفس من ضغوطات الحياة.[1]

6 – دوافع صحية :

قد تكون الرحلة لأغراض و دوافع " كالسفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء و تخليصها من الكدر و الاكتئاب كالارتحال إلى المناطق الريفية والمناطق الهادئة و نحوها ، و قد يكون هروبا من وباء طاعون أو تلوث "[2]، كما كان يحدث كثيرا في الماضي ، كالفر إلى المناطق الريفية التي تمتاز بجوها النقي ومناخها الجميل ، وذلك لمنح الروح والنفس الراحة والطمأنينة والهدوء وذلك باستنشاق الهواء النقي الذي يبعث الروح في النفس والتأمل في الطبيعة الهادئة الخلابة .

7 – دوافع اجتماعية :

كضيق العيش و قلة الرزق ، و السخط على البلاد ، و الهروب من المشاكل الاجتماعية المختلفة ، وهذا الجانب مرتبط بدوافع سياسية و اقتصادية .

قد لخص الإمام الشافعي رحمه الله بعض هذه الدوافع في هذه الأبيات، حين قال :

تغرب عن الأوطان في طلب العُلى و سافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريجُ هم و اكتساب معيشـة و علمٌ و آداب و صـحبة مَـاجِدِ[3]

و قال أيضا :

---

[1]- ينظر: فؤاد قنديل ،ص20 .

[2]- ينظر ، فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص 20 .

[3]- محمد بن إدريس الشافعي ، ديوان الإمام الشافعي ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر 2001 ، ص 14 .

سافر تجد عوضًا عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن ساح طـاب و إن لم يجْر لم يطب[1]

8 – دوافع حربية :

كانت لا تهدف غالبا إلا إلى التوسع في الأرض على حساب الأمم الضعيفة ، بغرض استغلال مواردها ، و فرض السيادة و السيطرة عليها ، و الاستحواذ عليها عامةً .[2]

9 – دوافع أخرى :

فقد كان البعض يلقون عذابا شديدًا كالشنق و القتل ، و المصادرة أو النفي ، وبالتالي الفرار و الهجرة هروبا من تلك الأوضاع ، للبحث عن ظروف عيش أحسن و أأمن .[3]

وفي المجمل هذه هي أهم الدوافع و الأغراض التي تدفع الرحالة للقيام برحلته إلى مكان ما.

ب – أنـواع الرحلـة :

من هذه الدوافع و الأغراض تنبثق العديد من الرحلات بالنظر إلى السمة التي غلبت عليها في مضمونها ، أو الطابع المنتشر فيها. ومنها نجد :

1 – الرحلة الدينية :

[1]- محمد بن إدريس الشافعي ، ديوان الإمام الشافعي ، ص 13 .
[2]- محمد رضي الرحمن القاسمي ، الرحلة و آدابها في اللغة العربية ، دراسة تاريخية ، مجلة الداعي الشهرية ، دار العلوم، ديبوند، الهند ، العدد 6 – 7،أبريل – يونيو 2013 ، ص 37 ، بالرجوع لموقع:
http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1366020150fix4sub8file.htm
[3]- ينظر: فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص20 .

لقد عرف هذا النوع بشكل خاص شيوعًا و انتشارًا ، لارتباطه بالدين، مثل الارتباط بأسمى أركان الإسلام ، و هو الحج ، و الذي ذكرناه من قبل باعتباره أهم باعث يدفع المسلمين للقيام بالرحلات نحو مكة المكرمة و المدينة المنورة على وجه الخصوص ، لقوله تعالى :

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

فالدعوة إلى حج بيت الله الحرام كانت منذ القدم منذ أيام سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ، قال تعالى:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. [2]

الغرض من الرحلة أداء الركن الخامس من أركان الإسلام ألا و هو " الحج " ، و زيارة البقاع المقدسة مرورًا بالبلاد الشرقية نظرًا لكونها رحلة برية قديمًا لعدم توفر وسائل النقل المتاحة في وقتنا الراهن – الآن – ، كما أنها كانت لغرض الجهاد والرباط في الثغور ، فطريق الرحلة الحجية مليء بالأسماء التي دونت في صفحاتها (مزارات ، مقابر ، أولياء) ذلك لاعتقاد بعض الرحالة ، " أن النظر إلى وجوه الأولياء و الصلحاء عبادة ، و فيها أيضا حركة بالرغبة للاقتداء بهم و التخلق بأخلاقهم و آدابهم " [3]

من أشهر الرحلات الدينية التي اهتمت بنقل أخبار الحج ، رحلة ابن جبير الأندلسي الشهيرة المسماة " تذكرة الأخبار عن الاتفاقات و الأسفار " ، و رحلة ابن بطوطة الموسومة ب : " تحفة الأنظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار " ،

[1]- سورة الحج ، الآية 27 .
[2]- سورة أل عمران ، الآية 97 .
[3]- الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، آداب السفر ، دار ابن حازم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2005 ، ص 716 .

ورحلة العبدري و غيرهم ممن سعى في وصف هذه الأماكن المقدسة ، و نقل أخبار ومستجدات البلدان الإسلامية .

2 – الرحلة العلمية :

كانت الرحلة من إحدى الوسائل التي لجأ إليها الرحالة بهدف أو بغية طلب العلم ، و ملاقاة العلماء ، والفقهاء والأدباء ومجالستهم وطرح الأسئلة عليهم للاستفادة من خبراتهم و معارفهم ،ولعل أشهر رحلة علمية كانت رحلة موسى – عيه السلام – مع الخضر ليستفيد منه ، فقد وردت تفاصيل الرحلة في القران الكريم ، في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [1]

كما وردت في السنّة النبوية الشريفة أحاديث على أن الرحلة وسيلة من الوسائل المعتمدة لنيل العلم من أماكن عدة سواء كانت بعيدة أو قريبة ، و ذلك قصد ملاقاة العلماء للدراسة عندهم و الاستزادة ، و في هذا الصدد يقول الرسول صلى الله عليه و

[1]- سورة الكهف ، الآيات 60 – 61 – 62 – 63 – 64 - 65 – 66 .

سلم : " من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقا إلى الجنة " [1] ، فمن خلال القيام بفعل الرحلة فهم ينالون العلم و الأجر في الوقت نفسه.

كان الرحالة منذ القدم يقطعون مسافات طويلة تدوم أيامًا أو شهورًا ، و هذا من أجل معرفة معلومة أو ملاقاة عَالِم لمحاورته ، لأن " الرحلة في طلب العلم و لقاء المشيخة مزيد في كمال التعليم ، و السبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم و ما ينتحلونه من المذاهب و الفضائل تارة علما و تعليما و إلقاء ، و تارة محاكاة " [2] ، فالرحلة من أهدافها الأساسية و السامية طلب العلم و الاستزادة من وحسن استغلاله .

نلاحظ أيضا ، " ابتداء من القرن الثالث بدأ طابع الرحلة في طلب العلم يطغى على نمط الرحلة ، و ما لبث أن اتسع نطاق انتشاره على مر القرون حتى بلغ الأوج بوجه خاص في العهد التركي " [3] ، إثر اتساع الرقعة الجغرافية للدولة العثمانية و مما زاد الاهتمام بالعلم و التشجيع على طلبه و سعي نحو نيله .

3 – الرحلة التجارية :

عرف العرب الرحلة منذ القدم ، و استخدموها كوسيلة لدافع التجارة مع الأقوام الأخرى في شبه الجزيرة العربية سعيًا لطلب الرزق ، و هذا عائد للموقع المهم الذي احتله الوطن العربي الذي يتوسط " قارات العالم القديم ، الذي كان مركزا لالتقاء

[1]- مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، متون الحديث الشريف ، دار الكتب العلمية ، ج 17 ، بيروت ، 1992 ، ص 19 .

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، ج 1 ، تح : درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2000 ، ص 539 و 540 .

[3]- كراتشوفسكي إغناطيوس يوليانوفيتش ، تاريخ الأدب الجغرافي ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1987 ، ص 401 .

الطرق التجارية بين هذه القارات ، كما أن انفصال الماء و تداخله في اليابسة في المنطقة العربية ، جعلها تحتل موقعا تجاريا هاما " .[1]

وقد ذكر القرآن الكريم رحلتي قريش التجاريتان، و هما رحلتا الشتاء و الصيف ، شتاءً إلى الشام و صيفًا إلى اليمن . كما كانت التجارة من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة العرب إلى شق البحار بقواربهم إلى " البحر الهندي، حيث اتجهوا شرقا نحو الهند ، و غربا نحو صوب إفريقيا " .[2]

ولم تقتصر الرحلات آنذاك على الرحلات التجارية البرية فقط ، بل شهد العصر رحلات تجارية بحرية و التي بدورها نالت نصيب من حياة العرب ، نظرًا لموقع الجزيرة العربية المحاطة بالبحار من ثلاث جهات " إذ كانت انطلاقات الرحالة من ميناء سيناء بالصرة ، و موانئ الخليج العربي ... إلى الهند و الصين و حتى جنوب شرقي المحيط الهندي ، فكان لتلك الاتصالات الموجودة بين العرب و السكان الموجودين في الصين و الهند دور كبير في الترابط التجاري ، مما سهل على الرحالين بحكم العلاقات أن يدرسوا تلك الأراضي " [3] ، فكان لهم الفضل في تبيان الأوضاع الاقتصادية آنذاك ، و خلال مدة زمانية طويلة ، و بهذا اعتبروا بمثابة مؤرخي التاريخ و مراسلي ذلك العصر، و هذا ما جعل من الرحلات أن تكون دلائل هامة ، زاخرة بالمعلومات التجارية حول الأسعار و العملات و السلع .

من أشهر الرحلات التجارية التي وصلت إلينا ، رحلة سليمان التاجر المعروف بالسيرافي منتصف القرن (3 هـ – 9 م) ، و رحلات ياقوت الحموي المشهورة (626 هـ) صاحب كتاب " معجم البلدان " .

---

[1]- نوال عبد الرحمن الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ،تقديم صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2008 ، الأردن، ص 46.

[2]- حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 138 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1989 ، ص 79 .

[3]- إبراهيم شوكة ، الجغرافيا العربية حتى نهاية القرن العاشر ميلادي ، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، 1990 ، ص 68 .

4 – الرحلة الرسمية :

كان هذا النوع موجودًا منذ ظهور الإسلام ، وكان لغرض التجسس والاستطلاع و لمعرفة الأخبار أو تلبية لطلب الحكام في مُعاينة الأماكن المجهولة ، وقد " ضم هذا النوع كلا من الرحلات التكليفية ، و الإدارية ، و السفارية ، و هي خاصة بدوافع عديدة " [1].

أما فيما يخص الإدارية فهي المتمثلة في الرحلات التي تقام من طرف الرحالين بتكليف من الحكام ، و ذلك لخدمة المصالح الإدارية للدولة أو المسؤول ، فالرحلة الإدارية فرضتها ظروف البلاد المعاشة إذ " اقتضت ضرورة الحكم و الإدارة ، و تقدير الثروات و حجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص للقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات و الحقائق و تقديم التقارير ، سواء أطلق على النشاط واصفة (الجغرافية الإدارية) ، أو (كتابة تواريخ الأقاليم) " [2] ، فقد كان للرحلة دور لا يستهان به خاصة في العالم العربي بوجه الخصوص .

عدت السفارة الشكل الرسمي للرحلات ، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحاكم، و هي الرسالة التي يتنافس على أدائها من يتكلفون بها ، إذا كانت تقترن في نفوسهم برفعة الدولة الإسلامية و علّو شأنها ، فالسفير ممثل لدولته و عنوان لرقيها ، و كانت السفارة لا تنقطع بين الدول العربية و ما جاورها من الدول لأغراض و مقاصد متنوعة، إما لتصفية الأمور السياسية أو لمقصد الصلح ، و قد تكون نتاج علاقات سياسية .[3]

[1]- جميلة روباش ، أدب الرحلة في المغرب العربي ، ص 28 .
[2]- حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص 81 .
[3]- ينظر ، نوال عبد الرحمن شوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، ص 40.

5 – الرحلة السياحية :

ومن بين الرحلات التي حضت باهتمام عدد من الرحالين نذكر "الرحلة السياحية" التي يسعى فيها "الرحالة إلى البحث عن الحرية من خلال تبديل الحيز المكاني لهم ، حيث كان همهم هو السفر لا المكان الذي يسافرون إليه ، فالدافع الكامن وراء القيام بهذه الرحلة هو الراحة و الاستجمام و التمتع بالحياة ، و ذلك من خلال الوصول إلى أماكن جميلة في البقاع الواسعة ، و اكتشاف ما لم تراه العين مسبقا ، و هذه الرحلة يقوم بها الرحالة بمحض إرادته دون تحريض من أي أحد ، لذا فقد نصادف مثل هذه الرحلات في الكتب الرحلية ، و تهدف هذه الرحلات إلى ارتياد أماكن و جوب الأفاق و الترويح عن النفس ، و لهذا نجد أن الرحلة امتدت لتتجاوز مضمون الحج أو المهام الرسمية لكي يتجول الرحالة في العالم التي انتشرت فيه تعاليم الدين الإسلامي من أمان و استقرار و طمأنينة ".[1]

اختلف الدارسون في تصنيف الرحلات " ففريق اتبع المنهج التاريخي ، فلجأ إلى الفترة الزمنية كحكم ، و غيرهم خلط بين المنهجين : التاريخي و الجغرافي ، وفريق ثالث استنطق النصوص فأخرج أنواعا لا رابط بينها، وفريق ذهب يُعدد ما هو ممكن لا ما هو واقع بالفعل ، و فريق – أخير – اقترب من الحق".[2]

لكن يمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا و هي : الرحلات العلمية و الرحلات الدينية و الرحلات الاقتصادية و الرحلات الرسمية .[3]

[1]- ينظر ، جميلة روباش ، أدب الرحلة في المغرب العربي ، ص 28 .
[2]- ناصر عبد الرزاق الموافي ، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع ، ص 31 .
[3]- ينظر ، المرجع نفسه ، ص 34 .

4- التعريف بابن حمادوش الجزائري :

يعرفه أبو القاسم سعد الله فيقول " عبد الرزاق بن محمد بن امحمد بن حمادوش الجزائري الدار و المنشأ ، الأشعري عقيدة ، المالكي مذهبا ، الشريف نسبا "[1] مؤرخ ، نسابة و طبيب و رحالة .

أثبت نسبه الشريف و حرص عليه حرصا كبيرًا ، و اعتبر ذلك من مقاصد الإسلام الكلية التي لا تستقيم الحياة بدونها ، و هي حفظ الدين ، و النفس و النسل ، و المال و العقل ، و حفاظًا على مكانته و كرامته ، لم يفوت فرصة إلا و ذكر فيها نسبه الشريف ، و منها مثلا تلك الشهادة التي يذكرها شيخهُ أحمد الورززي الذي كَاتَبَ القائم بمصالح الجباية بمرسى تطوان بعدما تعرض لابن حمادوش و طلب منه دفع المكْيس على سلعته ، يدعوه إلى عدم التعرض له [2] ، قائلاً " إن هذا اجتمعت فيه ثلاث خلال ، كل واحدة منها لو انفردت لأوجبت عليك أن لا تتعرض له في شيء الأولى : النسب ، فهو رجل شريف من آل بيت النبوة ، الثانية : أنه رجل عالم ، الثالثة : قلة ذات اليد " [3].

ولد عبد الرزاق ابن حمادوش سنة 1107 هـ / 1695 م بمدينة الجزائر ، و هو ما يذكره المؤلف بنفسه ، بقوله " ... عام 1107 سبعة و مائه ألف. و في هذه السنة في رجب كانت ولادتي " [4] ، كما يشير في العديد من المناسبات إلى ذلك حينما يُذَكِر بنسبه ، قوله في إحداها : " إلى يوم الخميس ثالث صفر الموافق ثالث عشر

[1]- أبو القاسم سعد الله ، " مقدمة التحقيق " رحلة ابن حمادوش الجزائري " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب و الحال " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 29 .
[2]- ينظر ، المصدر نفسه ، ص 112 .
[3]- المصدر نفسه ، ص 112 .
[4]- المصدر نفسه ، ص 226 .

فبراير تمت لي خمسون سنة عجمية ، و افتتحت سنة 51 عجمية من ولادتي ، وفقني الله للهدى" .[1]

نشأ ابن حمادوش " بمدينة الجزائر و تعلم بها العلوم الشائعة عندئذ، و كان من أسرة متوسطة الحال تلقب بأسرة الدباغ لأن والده و عمه ، كما يظهر ، كانا يشتغلان بالدباغة " [2] و يذهب أبو القاسم سعد الله إلى أن والد ابن حمادوش" قد توفي و هو ما يزال صغيرًا لأنه لم يذكره في عقد زواجه الأول و لا الثاني بينما ذكره في عقد زواج أخته ، و بعد زواجه من ابنة عمه ظل عبد الرزاق في رعاية عمه يسكن عنده ، ولكن هذا الزواج مجهول القيمة بالنسبة لحياة ابن حمادوش ، فهو لم يذكر أنه أنجب أطفالا من ابنة عمه كما تحدث عن أطفاله من زوجته الثانية ".[3]

كانت حياة عبد الرزاق بن حمادوش مليئة بالفقر و الضيق ، وكان وضعه المادي سببا في غضب زوجته الثانية و مطالبتها بالطلاق منه .

تبعا لمؤهلاته و مجال دراساته اهتم عبد الرزاق ابن حمادوش بالثقافة العلمية من طب ، و صيدلة ، و فلك و حساب [4] ، كما كان شغوفا بمطالعة كتب الطب العربية و الأجنبية ، فقرأ و لخص و درس تأليف ابن سينا و البيروني و الفارابي والرازي و ابن البيطار و الأنطاكي ، و غيرهم من علماء المسلمين و اليونان ، و كان لا يقرأ نظريا بل يحاول أن يطبق ما قرأه و يؤلف فيه ، و يجري التجارب

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش ، لسان المقال ، ص 253 .
[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1998 ، ص 425 .
[3]- المرجع نفسه ، ص 425 .
[4]- ينظر:عبد الرزاق بن حمادوش ، لسان المقال ، ص 10 .

الشخصية عليه ، فكان يقوم بإجراء التجارب على النباتات و يركب المعجونات الطبية ،و يختبر موازين المياه و يرسم الرخامة الظلية ،و يضع دائرة لبيان اتجاه الرياح .[1]

اشتهر ابن حمادوش في مجال أدب الرحلة و التاريخ برحلته المعروفة بـ" لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال " و الذي سجل فيها ما عرض له و ما شاهده و أطلع عليه شخصيا من أحداث و وقائع لفترة تناهز الأربع سنوات من حياته (1156هـ _ 1161هـ / 1743م _ 1748م) و قد وضعها في شكل مذكرات شخصية و اعتمد فيها الترتيب الزمني حسب السنوات و الشهور و الأيام ، فجاءت مقتصرة على أخبار الجزائر و المغرب الأقصى و متضمنة بعض قراءاته من الكتب المتوفرة لديه مثل كتاب الاكتفاء لابن الكردوس ، و كتاب أنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل للعلمي .[2]

يذكر أبو القاسم سعد الله و من ترجم لابن حمادوش أنه عاش إلى حوالي تسعين سنة ، و أنه توفي في مكان و تاريخ مجهولين و لكن أغلب الظن أن المنية وافته و هو بالمشرق بين سنوات (1197هـ . 1783م ، 1200هـ / 1786م).[3]

كما نقف في بعض كتب التراجم على اختلاف طفيف في كتابة كنية ابن حمادوش فنجد أنها كتبت "ابن حمدوش " دون الألف و هذا في كتاب " الأعلام " لصاحبه خير الدين الزركلي ، يقول : " عبد الرزاق بن محمد بن حمدوش : عشاب

[1]- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص 225 .

[2]- ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1999 ، ص 433 .

[3]- ينظر ، أبو القاسم سعد الله ، الطبيب الرحالة " ابن حمادوش الجزائري " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص 13 .

فقيه رحالة . من أهل الجزائر . كانت حرفة أسرته الدباغة و عرف أبوه بالدباغ . حج حجته الأولى (سنة 113) مارًا بتونس . و قام برحلات إلى المغرب " .[1]

اشتغل ابن حمادوش بالتدريس و هذا ما ذكره أبو القاسم سعد الله أثناء تحقيقه لرحلة " ابن حمادوش " واضعًا ذلك تحت عنوان " تدريس المؤلف روضة الأزهار للطالب عبد الله جنان " .

[1]- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، الجزء الثالث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984 ، ص 302 .

5- ملخص الرحلة :

يتوزع محتوى الرحلة على ثلاثة أقسام ، وفق ما أقره أبو القاسم سعد الله في كتابه " أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ".

يرى أبو القاسم سعد الله أن الرحلة دامت قرابة خمس سنوات لقوله " و بداية تاريخ هذا الجزء هو غرة عام 1156 هـ الموافق 14 فبراير سنة 1743 م ، و يمثل تاريخ المذكور بداية رحلته إلى المغرب ، و أخر تاريخ مذكور فيها (على فرض صحة القسم الذي لم نقطع بنسبه إليه) هو سنة 1160هـ – 1747م ، و ذلك أننا نجده في السنة الموالية بمصر " . [1]

بالعودة إلى تقسيم المحتوى العام للرحلة ، فنجد :

القسم الأول

قد أطلق عليه اسم " قسم المغرب و هو من صفحة 2–75 ، و هذا القسم هو الذي يصح أن نسميه "رحلة" " [2] ، لكن حسب النسخة التي بين أيدينا فالرحلة تبدأ من الصفحة 30 إثر وصول المؤلف عند جبل طارق لقوله " و في هذه الساعة كنا على ظهر البحر ، قريبا من غرناطة ، و كان عاشر خروجنا من الجزائر ، و الاثنين حادي عشرتا ، و يوم الأربعاء سادس عشر فبراير ألقينا المراسي بجبل طارق ، و نحن على وجل " [3] ، و ينتهي هذا القسم حسب النسخة المتوفرة بين أيدينا في الصفحة 114 إثر سفره إلى الجزائر أي عودته فيقول " سافرنا عند غروب الشمس ليلته . إلى أول ساعة

[1]-أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ، ص 229 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 230 .
[3]- عبد الرزاق بن حمادوش ، لسان المقال ، ص 30.

من يوم الاثنين التاسع من الشهر المذكور موافق ثاني عشر مارس دخلنا مرسى الجزائر . و نزلت في حيني و دخلت داري في أول الساعة الثانية " . [1]

كانت رحلته إلى المغرب جدٌّ قيمة نظرًا للفائدة العائدة عليه ، فأول ما حط قدمه في مدينة تطوان صلى الظهر جماعة ، فالتقى بأحد علمائها ألا و هو الشيخ الورززي فسلم عليه ، و قابل أيضًا الشيخ أمحمد البناني الفاسي بحيث قدم له أمانة من الجزائر، و نجد أنه من المداومين على حضور دروسهم .

لقد كان ابن حمادوش من النوع الدقيق في وصف كل ما تقع عليه عينه سواء كانت أحداثا أو عادات أو تقاليد , أفضل مثال وصفه ثورة حاكم تطوان على السلطان عبد الله و يذكر السبب فيقول " أنهما نسوا الفتنة و الهرج ، و نحن قريب من المرج ... وقع قتال بين العسكرين الذي أشرت إليه أول هذا الجزء . و ذلك أن الباشا أحمد بن عبد الله الريفي كثر ماله و تجبر في نفسه و طغى على عبد الله حتى قرر المكوس كأنها سنة " . [2]

كما وصف بعض عادات و تقاليد أهل فاس و الجزائر بحيث استقبح حماماتهم و " منها أن رجالها لا يتعممون إلا القليل و أن نساءها لهم عمائم كبار ، إما من حرير فثمانية عشر ذراعا بذراع بني أدم المعلوم في الأسواق " .[3]

كما وصف أجواء عيد الأضحى في تطوان في قوله " و في يوم السبت صنع عيد الأضحى بغتة . كان مطر غزير و سحاب ليله و نهاره . إلى الضحاء أتت بينة

[1]- أبو القاسم سعد الله ، رحلة ابن حمادوش الجزائري ، ص 114 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 114 .
[3]- المصدر نفسه ،ص 94 .

من طنجة فصنع العيد و ذهبنا إلى المصلى فخرج قائدهم في جماعته و بين حربة عالية طويلة جدا و أمامه نحو المائتي مسخر حاملة المكاحل كلها ..." . [1]

القسم الثاني

أما هذا القسم فهو" قسم عن المؤلف نفسه في الجزائر ، و هذا القسم ترد أخباره مفرقة ضمن قصص و استطرادات ، و هو عبارة عن مذكرات و حوادث يومية عن قراءاته و ملاحظاته و نشاطه " [2]

فهذا القسم جزء مهم يعبر عن حياة المؤلف نفسه ، بحيث كان بمثابة مرآة حياته، فكان يسرد فيها تفاصيل حياته إبان عودته للجزائر ، فأول ما دخل الجزائر و ذهب لبيته وصف لنا دخوله لداره لقوله : " و دخلت داري في أول الساعة الثانية ، فوجدت عندي ولدين ، سيدي الحسن و سيدي الحسين ، ولدتهما زهرا ، زوجتي توأمين" .[3] بعدها عاد إلى عاداته المتمثلة في طلب العلم ، و هذا ما تسبب بخروج أهله عليه و طلبهم الفراق ، لعدم اهتمامه بالبيت و شؤونه ، و لوم زوجته له على تضييع المال ، رغم تحصيله للعلم فيقول : " و لم أرها فرحت بقدومي ، لأنها أيقنت أن أكثر المال ضاع لي فلم يبق لها غرض فيّ ، و لم تر لما عندي من العلم " . [4]

نظرا لولوع ابن حمادوش بمجال العلوم نجده كثير التنقل و الترحال بهدف توسيع ثقافته العلمية و تحصيل العلوم المختلفة ، مما جعله بعيدا عن أهله و عائلته فقد انعكس سلبا على حياته العائلية و الشخصية بحيث أهمل التجارة التي ورثها من عائلته و التي كانت مصدر رزق لهم ، لكن تحصيله هذا ارتقى به لتأليف عدد من الكتب العلمية و ديوان شعر مثلما ذكر في رحلته.

---

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش ، لسان المقال ، ص 107 .
[2]- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ، ص 231 .
[3]- المصدر نفسه ، ص 114 .
[4]- المصدر نفسه ، ص 115 .

القسم الثالث

أما القسم الأخير فقد تضمن " نقولا كثيرة من كتب و وثائق المتقدمين والمعاصرين : مثل الاكتفاء لابن الكردبوس ، و كتاب تاريخ الدول للملطي و أنس الجليل للعليمي ، بالإضافة إلى مجموعة من عقود الزواج على عادة أهل مدينة الجزائر . و كذلك مجموعة من الأسانيد و الإجازات و القصص العامة كقصة الفيل و قصة العنقاء"[1].

هذا ما يصرح به المؤلف في أطراف الرحلة،مثل قوله : " و أخذت العقائد النسفية و شرحها للإمام السعد و بعضا من حواشيها كابن أبي شريف – بكسر الشين– وغيره عن عدة أشياخ أجلة منهم الإمام الهمام أبو الحسن السندي عام ست و عشرين (1126) بالحرم المكي عند باب علي ، كرم الله وجهه ، آمين . و منهم محمد أفندي قاضي زاده في عام سبع و عشرين (1127) بإسكندرية ، و كذا أخذت عن الثاني منظومة العلامة سيدي أحمد المقري قراءة تحقيق ، علقت عليها تعليقا لطيفا من تقريره نافعا إن شاء الله"[2].

ولعلنا نخلص في الأخير إلى أن رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال " كانت لغرض العلم من جهة ، و لتجارة من جهة أخرى ، فجاءت الرحلة ضمن أجزاء إلا أن الجزء الأول منها ضائع ، كما قد تكون هناك أجزاء تلت الجزء الثاني و قد ضاعت كذلك ، و مما يدل على وجود الجزء الأول من الرحلة تلك الإشارة التي أوردها في الجزء الثاني ، لقوله : " وقد

[1]- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ، ص 231 .
[2]- عبد الرزاق بن حمادوش ، لسان المقال ، ص 274 .

تقدم في الجزء الأول " .[1] وقوله كذلك : " و في يوم الخميس ثالث و عشرين رمضان ، موافق ثامن عشر أكتوبر ، تممت الجزء الأول من هذا التأليف " . [2]

حوت الرحلة معلومات جدّ مهمة للبلاد (المغرب ، الجزائر) خاصة في تلك المرحلة –العهد العثماني– و التي لا تزال تفتقر إلى المعلومات ، و لا شك أن هذه الرحلة تعد –بحق– " قطعة من تراث الجزائر الوطني خلال القرن الثامن عشر ".[3]

ولعل الحصول على الأجزاء الأخرى سوف يضيف معلومات أخرى قيمة و متنوعة عن المغرب العربي خلال القرن الثامن عشر الميلادي.

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش ، لسان المقال ، ص 126 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 124 .
[3]- المصدر نفسه، ص 76 .

الفصل الثاني : المنهج الموضوعاتي .

1- تعريف الموضوعاتية لغة واصطلاحا .

2- نشأة وتطور المنهج الموضوعاتي .

3- أهم أعلامه وأهم المقولات والآراء والاتجاهات فيه .

4- أهم الآليات الإجرائية في التحليل الموضوعاتي .

5- المنهج الموضوعاتي في أدب الرحلة : حقول النص الرحلي .

1- تعريف الموضوعاتية لغة واصطلاحا:

تعتبر الموضوعاتية من أهم المقربات النقدية في التعامل مع النص الأدبي شعرا كان أو نثرا، تعتبر حديثة النشأة وتعد من المناهج التي حظيت باهتمام كبير من طرف النقاد والرواد.

فتعددت تسميات هذا المنهج بين الموضوعاتية والتيمة والظاهرتية والجذرية إلى غير ذلك.

فمصطلح الموضوعاتية ذات مفاهيم عديدة غير أنها تجمع في مفهوم واحد، وهنا نتطرق إلى التعريف الموضوعاتية لغة واصطلاحا.

أ- لغة:

وردت كلمة الموضوعاتية في لسان العرب لابن المنظور" وضع الوضع ضد الرفع، ووضعه يضع وموضوعا، وأنشد ثعلب يتبين فيهما موضوع جودك ومرفوعة، عني بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به والمرفوع ما أظهره وتكلم به".[1]

يشتق مصطلح الموضوعاتية حسب رأي جميل حمداوي " موضوعاتي Thématique في الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة(Thème) وهي "التيمة" وترد هذه الكلمة بعدة معان مترادفة كالموضوع والغرض والمحور، والفكرة الأساسية والعنوان والحافز، والبؤرة والمركز والنواة الدلالية...الخ ".[2]

كما جاءت " كلمتي "التيم" Thème والتيماتية عند سعيد يقطين عندما يقول إن التيمة Thème والتيماتية عندما يقول إن التيمة (Thème) كما يرى برناود ويرى

[1]- ابن المنظور، لسان العرب، الجزء الثامن، مادة الوضع، دار المصادر، ط2، بيروت، 1988، ص401.
[2]- جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي ، 22 فيفري 2009 ، nadwah.comhttps:www.arabicwww.arabic/ .

هي الفكرة المتواترة في العمل الأدبي وتستعمل أحيانا بمعنى الحافز الكثير التواتر، غير أن التيمة أكثر عمومية وتجريدا...".[1]

من صعوبة تحديد المفهوم اللغوي للنقد الموضوعاتي بكل دقة تعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية كذا قد" استعمل المصطلح الموضوعاتي أو التيمي بشكل انطباعي وعفوي من قبل جان بول ويبر، إذ أطلقه على الصورة المتفردة والملحة في تكرارها واطرداها والمتواجدة بشكل مهيمن في عمل أدبي عند كاتب معين".[2]

ب – اصطلاحا :

تعددت تعريفات الموضوعاتية كمصطلح فهي" تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريا سواء في الشعر أم في النثر".[3]

كما تُعرف على أنها " التردد المستمر لفكرة ما، أو صورة ما، فيما يشبه لازمة أساسية وجوهرية تتخذ شكل مبدأ تنظيمي محسوس أو ديناميكية داخلية أو شيء ثابت يسمح للعالم المصغر بالشكل والامتداد ".[4]

كما يُبرز جميل حمداوي نقطة مهمة في الموضوعاتية فيقول أنها " لن تكون القراءة الموضوعاتية ناجعة وسليمة، إلا بقراءة السياق النصي والذهني للكلمات والمفردات المعجمية المتكررة، ويمكن التسلح في هذا السياق القرائي بمجموعة من

[1]-جوزيف شريم، الاتجاهات النقدية والنفسانية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد18-19، بيروت،1984.
[2]-جميل حمداوي، المقاربة الموضوعية في النقد الأدبي، 22فيفري 2009.
[3]-المرجع نفسه.
[4]-سعيد علوش، النقد الموضوعاتي" وضعية النقد الموضوعاتي" ، من موقع سعيد علوش ، http://www.saidallouche.net/deu/ctheLindex.htm .

الآليات المنهجية كالتشكل والتوازي والتفاعل والترادف والتطابق والتقابل والتكرار والتواتر لتحديد البنيات الدالة المهيمنة والمتكررة في النص".[1]

من أجل إبراز هذا المصطلح بصورة أدق " يستلزم النقد الموضوعاتي قراءة نص واحد أو مجموعة من النصوص والأعمال الإبداعية التي كتبها الأديب المبدع، والبحث عن بنياتها الداخلية ومرتكزها البنيوي والمهيمن، وجمع كل الاستنتاجات في بوتقة تركيبية متجانسة ومتضامنة، واستقراء اللاشعور النصي عند المبدع، وربط صورة اللاوعي بصورة المبدع على المستوى البيوغرافي والشخصي ".[2]

يقوم النقد الموضوعاتي حسب رأي جميل حمداوي " على تحويل ما هو روحاني وزئبقي وجواني وشاعري إلى وحدة دلالية حسية مبنينة موضوعيا وعضويا".[3]

[1]-جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، 22فيفري2009 ، http://www.arabicnadwah.com .

[2]-عبد الكريم حسن، نقد المنهج الموضوعي في شعر السبياب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دمشق، 1983.

[3]-جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي .

2- نشأة وتطور المنهج الموضوعاتي:

يتميز النقد الأدبي اليوم بتعدد مشاربه ومقارباته وتعدد آلياته ، ومن بين آلياته نجد المنهج الموضوعاتي الذي يعد من أهم المقاربات النقدية، فيعمل من أجل الكشف على معنى الرغبة الدقيقة عند اختيار المبدع للموضوع دون آخر. فنشأ المنهج الموضوعاتي من طرف تفكير العديد من النقاد والرواد والذين ساهموا بدورهم في تطوره ونشأته، ومنها سنحاول تقديم بعض آراء الدارسين له كباشلار، جورج بولي، سعيد علوش، محمد عزام " فالنقد الحديث نشأ تحت شعار اللسانيات والبنيوية والتحليل النفسي، أي تلك التيارات الثلاثة التي عمل النقد الموضوعاتي دوما على صون استقلالية تجاهها " [1] ، فالنقد الأدبي نشأ بطريقة بسيطة ، لكنه تطور ولم يبقى على حاله بحيث أصبح أكثر موضوعية وذات مناهج واتجاهات عديدة.

في الاتجاه نفسه يقر محمد عزام أن نشأة " المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي تجاوز القارتين الأوروبية والأمريكية إلى جميع أنحاء العالم، ومنها وطننا العربي، فانتقل إلينا مع ما انتقل من مناهج نقدية ومذاهب أدبية، من خلال نقادنا ومثقفينا الذين أطلوا على الثقافة الإنجليزية مباشرة وأجادوا لغتها". [2]

كما أشار سمير حجازي " أن الموضوعاتية منهج نقدي نشأ في أحضان الفلسفة الظاهراتية ابتداء من التسعينات أي القرن العشرين في بيئة نقدية فرنسية وأن عاستون باشلار المنبع الأول والرئيسي للنقد الموضوعات كما أنه" المصدر النظري المفهوم ومصطلح النقد فهو الموضوعاتي".[3]

[1]-رضوان ضاضا، مدخل إلى المناهج النقد الأدبي، علم المعرفة، الكويت، مايو1997، ص 95.
[2]-محمد عزام، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص5 .
[3]-سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص147.

يعد باشلار المنبع والمصدر الرئيسي لهذا المنهج فهو المكتشف له ، فقد أشار سعيد علوش بأنه " يكاد باشلار يمثل الأدب الروحي للنقد الموضوعاتي الذي كان فيه رائدا موضوعاتيا لاحق الفضاء والحلم والزمن والكونية مما جعل انشغاله يتوجه بالأساس إلى استقصاء المعرفة وإدراك العلم وملاحقة فينومينولوجيا الأشياء والكلمات ولعل هذا هو ما قاده إلى خوض مجال الإيستمولوجيا من منظور العلوم الإنسانية".[1]

تباينت لنا أراء معاكسة عما ذكرناه سابقا عن نشأة وتأسيس للمنهج الموضوعاتي، فهناك رأي يبرز لنا أن المؤسس الحقيقي له هو غاستون باشلار، وهناك رأي معاكس لجورج بولي أن المنبع الرئيسي للمنهج الموضوعاتي هو مرسيل بورش فأشار ذلك جميل حمداوي في قوله" قد بين بولي في مداخلته في ندوة (الاتجاهات الحالية للنقد سنة 1966م) والتي كتبها تحت عنوان(النقد الكشفي)، بأن مرسيل بورست هو المؤسس الحقيقي للنقد الموضوعاتي، وتوصل إلى ذلك عبر عملية تجميع التصور في عمل بورست وربطها بين بعضها البعض اعتمادا على إستدخال الوعي الذاتي في تحديد التيمة الكبرى وعملية توزيعها وتشعبها في الأثر الأدبي".[2]

نشأ المنهج الموضوعاتي في أحضان الصراع النقدي الذي شاهدته الجامعة الفرنسية، إلا أنه لم يهمن النقد الموضوعاتي على النقد المعاصر بفرنسا إلا في الستينات من القرن العشرين.

أشار جميل حمداوي إلى نشأة المنهج الموضوعاتي فقال انه " قد نشأ النقد الموضوعاتي في فرنسا أساسا، إلا أن له بعض الملامح في النقد الألماني ونقد أمريكا الشمالية".[3]

---

[1]-سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، تنسيق عز الدين العمراني، نسخة إلكترونية من موقع المؤلف https://www.saidallanch.net/index1/htmc، شركة بابل للنشر والطباعة، المغرب، ط1 ،1989،ص18.

[2]- جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي .

[3]- المرجع نفسه.

كما يضيف جان روسي في كتابه الشكل والدلالة : " بأن الكاتب لا يكتب إلا يعبر عن نفسه لا ليقول شيئا ما، وهذا ما يؤكد مدى الترابط بين الذات والموضوع على المستوى الشعوري والظاهرتي وتداخل السيكولوجيا مع الموضوعاتية".[1]

لاحظ أغلب الدارسين لمحمد عزام وجميل حمداوي وغيرهم أن المنهج الموضوعاتي لم يظهر في العالم العربي إلا في السنوات السبعين من القرن العشرين " لم يظهر النقد الموضوعاتي في العالم العربي إلا في سنوات السبعين من القرن العشرين من تنامي النقد المضموني الانطباعي واكتساح النقد الأيديولوجي الواقعي والماركسي الساحة النقدية العربية. وقد استفاد هذا المنهج أيضا من تباشير المنهج البنيوي مع امتداد سنوات الثمانين".[2]

أشار رضوان ظاظا " أن وجهة النظر الموضوعاتية ليست عقيدة على الإطلاق فهي لا تتمفصل حول مذهب بل تتطور في البحث بدءا من حدس مركزي، ولاشك في أن النقد الموضوعاتي ينطلق من رفض اعتبار النص الأدبي غرضا يمكن استنفاد معناه بالتقصي العلمي".[3]

إن البداية الأولى للمنهج الموضوعاتي كانت في القارتين الأمريكية والأوروبية ، فكان الرومانسيين يرون صورة الشاعر في شعره، فنجد بعض الأوائل الرومانسيين بليك، وردزووروت، شيللي و كوليردج قد بذلوا مجهودات لكي يزيلوا الإبهام عن مهمة الخيال المبدع، إذ قدموا مفهوما جديدا للشعر فقد وضعوا قوانين وأسس جديدة موضوعاتية لمفهوم الأدب، نجد ذاك عند ماثيو أرنولد، والمدرسة البرناسية، ومدرسة شعراء الصورة . " وقد هاجم أرنولد في مقالته (وظيفة النقد) كل ما هو شخصي وخاص، وانتقد الشعراء الرومانسيين بشدة، ودعا إلى بعض المقاييس الموضوعية ،

[1]- جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي.
[2]- المرجع نفسه.
[3]- المرجع نفسه.

ورفض أن يكون الشعر هروبا من الواقع كما هو الحال لدى الرومانسيين ، فقرر أن الشعر هو (نقد الحياة) . وأن عظمة الشاعر إنما تتجلى في تطبيقه الأفكار على الحياة تطبيقا قويا وجميلا " [1]، وكذا " الناقد يجب أن ينأى بنفسه عن وجهة النظر العملية للأشياء. وألا يهب نفسه، للاعتبارات السياسية والعملية وحدها. والنقد الحقيقي ينبغي أن يكون مستقلا عن هذه الاهتمامات، وإلا فإنه لن يحقق أبدا فعالية حقيقية أو يحقق وظيفته في خلق تيار من الأفكار الصادقة الجديدة".[2]

وهناك مدرسة الرناسية أي مدرسة الفن للفن، عندما خطت فكرة الموضوعية للشعر أتت هذه المدرسة كرد على المذاهب التعليمية والأخلاقية والنفعية في الأدب والفن، كأنها عودة نادمة للكلاسيكية، لأن هذه المدرسة تعتبر الشعر غاية في ذاته لا وسيلة للتعبير عن الذات، وهي تريد أن تجعل من الشعر فنا موضوعيا.

من جهة أخرى " لقد ترفع البرناسيون عن سواد الشعب، وتوجهوا إلى النخبة في شعرهم الموضوعي البعيد عن ذاتية الرومانسين، ولم يعتقدوا كالرومانسيين بالإلهام في الشعر، لأن الشاعر عندهم كعالم في معلمه" [3] ، وبعدها يدين النقد الموضوعي أيضا للمدرسة التصويرية التي أرس دعائمها " توماس هيوم " و" عزراباوند" و"إليوت" ، وقد "ساهم بذلك في تطور مفهوم الشعر واتجاهه نحو الموضوعية، وأنكر الموضوع الشعري، ودعا إلى التركيز الأهمية كلها على القالب الشعرية وأصبر على أن يكون عمل الشاعر هو العناية بالصنعة الفنية لا التعبير الشخصي".[4]

[1] - محمد عزام ، المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 ، ص 9 - 10 .
[2]- المرجع نفسه ، ص10.
[3]- المرجع نفسه ، ص14.
[4]- المرجع نفسه ، ص17.

نستنتج مما سبق أن نشأة وتطور المنهج الموضوعاتي تعود إلى جهود مجموعة من النقاد الكبار أمثال باشلار، وجورج بولي وجان بول فيير وغيرهم. وكذا لا ننسى جان بيير ريشار الذي تابعه منذ بوادره الأولى إلى أن نضج وأصبح منهج كاملا.

3- أهم أعلامه وأهم المقولات والآراء والاتجاهات فيه :

المنهج الموضوعاتي هو ذلك المنهج الذي يعدّ من أهم المقاربات النقدية في التعامل مع النص الأدبي شعرًا ونثرًا ، ويعتبر من أهم المناهج التي حظيت باهتمام كبير من طرف النقاد والرواد ومن بينهم نذكر غاستون باشلار وجورج بولي ،وجان بيير ريشار وسعيد علوش ومحمد عزام .

يؤكد جميل حمداوي على أن للمنهج الموضوعاتي إيجابيات ومزايا إذ يبين لنا ذلك في قوله : " ومن مميزات النقد الموضوعاتي انفتاحه على المناهج النقدية الأخرى بسبب مرونته وتمتعه بالحرية في الوصف والقراءة ، حيث استفاد من علم النفس والنقد الأدبي والتحليل الفرويدي والنقد التاريخي والتأويل الهرمونيتيكي والبنيوية اللسانية والشكلانية " .[1]

من بين الرواد الذين كان لهم اهتمام كبير بالمنهج الموضوعاتي نجد غاستون باشلار الذي يعتبر المنبع الرئيسي للمنهج ، بحيث أشار إلى ذلك سعيد علوش بقوله : " يكاد باشلار يمثل الأب الروحي للنقد الموضوعاتي الذي كان فيه رائدا موضوعاتيا "[2] بعد أن كان غاستون باشلار فيلسوفا وإيستمولوجيا ، " إذ درس مجموعة من الصور الشعرية ذات البعد "التيماتي" بمقاربة فينومينولوجية تربط الذات بالموضوع ، باحثا عن المظهر الوعي واللاوعي وترسباته السيكولوجية في الصور الشعرية " .[3]

يقول محمد عزام متحدثا عن باشلار " وقد درس الصورة الشعرية واتخذ منها موقفا موضوعيا مستخلص إياها من العناصر المادية الأربعة : الماء ، الهواء ، التراب ، النار ، كما شغف باشلار بالتحليل النفسي كعلم نقدي واحد " .[4]

---

[1] - جميل حمداوي ، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي .
[2] - سعيد علوش النقد الموضوعاتي ، ص 18 .
[3] - جميل حمداوي ، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي .
[4] - محمد عزام ، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي ، ص 84 .

كما يرى باشلار أن الموضوع لا يمكن أن يكون إلا عندما تحضر الذاتية ، وكذا " يعين باشلار مهمة الإيستمولوجيا في القيام بتحليل نفسي للمعرفة الموضوعية".[1]

ثم يأتي "جان بيير ريشار" الذي يعد مؤسسي المنهج الجديد الذي نقصد به بالمنهج الموضوعاتي ، ساهم ريشار في تبلوره وتطوره ، بحيث تبعه منذ بوادره الأولى إلى أن أصبح منهجا كاملا . فالموضوع عند ريشار هو " وحدة من وحدات المعنى إما وحدة حسية أو علائقية ، أو زمنية مشهود لها بخصوصتها عند كاتب ما " .[2]

تمتاز أبحاث ريشار بالتوسع المنطقي وببسط العالم الخاص للكاتب ، كما يركز منذ دراساته الأولى على عالم الإحساس وعلى التركيبات الباطنية باعتبارها " هي الوسيلة المفضلة للصعود إلى مركز المشاعر وإلى عالم الإحساس واليقظة ، نضيف إلى هذه المادة هاجسا لغويا أساسا يطوف حول الأشياء والعالم ويفك عزلتها عن عنف الكاتب والكتابة " .[3]

موضوعاتية ريشار هي الموضوعية الأدبية التي تعتمد على التواتر اللفظي ، فهو يعتمد بالمواضيع أكثر في العمل الأدبي ، وكذا يرى أن للانطباع الشخصي في الموضوعاتية دورا كبيرا في القراءة والوصف .

الخلاصة أنه " لا وجود في القراءة الموضوعية لنقطة بدء ونقطة وصول ، فالمدخل إلى حقل القراءة الموضوعية مدخل حر مما يضفي عليها شيئا من السحر ، وعندما يكتب أحد النقاد الموضوعيين في مقدمة دراسته أنه سيبدأ من نقطة ما ، فإن هذه البداية ستكون بداية كتابة هو ، لا بداية يلزمه بها منطق حقيقي للموضوع المدروس " .[4]

---

[1] - سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ، ص 18 .
[2] - محمد عزام ، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي ، ص 84 .
[3] - فؤاد أبو منصور ، النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوربا ، دار جبل ، لبنان ، ط1 ، 1985 ، ص 95 .
[4] - عبد الكريم حسن ، نقد المنهج الموضوعي ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، لبنان ، ص 43 .

وفي الاتجاه نفسه يقر جميل حمداوي أن " منهج ريشار تصنيفي يحاول ربط عناصر العمل الأدبي من أجل ربطها ببعضها ، ويحضر ريشار العناصر التي تتكرر بخطوة في نسيج العمل الأدبي ، ويحلل هذه العناصر التي يتم حصرها عبر الاهتمام بالمعنى السياقي وتجنب التزيد في التحليل أو الميل إلى النزعة الإسقاطية " .[1]

كما نجد أيضا "جورج بولي" الذي يعد من أهم وأبرز رواد المنهج الموضوعاتي حيث ساهم في تأسيس هذا المنهج ، فقد تناول الفضاء والزمن بأسلوب فلسفي ميتافيزقي وحدسي ، ويتبين ذلك من خلال مداخلته في " ندوة (الاتجاهات الحالية سنة 1966م) والتي كتبها تحت عنوان (النقد الكشفي) ، بأن مرسيل بروست هو المؤسس الحقيقي للنقد الموضوعاتي ، وتوصل إلى ذلك عبر عملية تجميع الصور في عمل بروست وربطها بين بعضها البعض اعتمادا على إستدخال الوعي الذاتي في تحديد التيمة الكبرى وعملية توزيعها وتشبعها في الأثر الأدبي " [2] ، لأن ما يهم جورج بولي هو مجموع الموضوعات والبنى التي يجمعها الوعي الذاتي ، وليس الصورة المعزولة فقد انصب كل اهتمامه في الوعي المبدع من خلال " أشكال (الوجود في العالم) التي يعرضها العمل بصورة شبكات تخيلية " .[3]

كما اهتم جورج بولي في توجيهه الموضوعاتي بالزمن والمكان ، ويعرض ذلك في كتابه " دراسات حول الزمن الإنساني " و " تحولات الدائرة " ، ويقارب بولي في مصنفاته الإبداع " من زاوية فلسفية ذات نسق زماني ما ورائي بروح شاعرية كما فعل غاستون باشلار في شعرية الفضاء " .[4]

يركز جورج بولي في المنهج الموضوعاتي " بقراءته للأعمال الإبداعية على ما تحمله من وعيه بمفهومي الزمان والمكان ومن هنا تأتي فكرة التوحيد بين الناقد

[1] - جميل حمداوي ، المقاربة الموضوعية في النقد الأدبي .
[2] - المرجع نفسه .
[3] - رضوان ظاظا ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، عالم المعرفة ، الكويت ، مايو 1997 ، ص 120 .
[4] جميل حمداوي ، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي .

والمنقود" [1] ، ومن هنا فجورج بولي يستعين بالتحليل الظاهرتي للزمان والمكان من أجل العثور على التجربة الأولى للكاتب .

[1] - محمد عزام ، المنهج الموضوعي ، مجلة الموقف الأدبي ، مجلة فصلية عن إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 365 ، 2001 ، ص 14 .

4- أهم الآليات الإجرائية في التحليل الموضوعاتي :

يعتمد الناقد الموضوعاتي على مجموعة من الركائز المنهجية والخطوات التنظيمية ، ويمكن حصر هذه المبادئ التنظيمية حسب رأي جميل حمداوي في بعض الآليات الإجرائية ، يمكن تلخيصها في ما يلي :

- قراءة النص قراءة شاعرية عميقة ومنفتحة .
- الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى .
- تحديد مكونات النص المناصية والمرجعية .
- التأرجح بين القراءة الذاتية والقراءة الموضوعية .
- تشغيل المستوى الدلالي عن طريق رصد الحقول الدلالية وإحصاء الكلمات المعجمية والمفردات المتواترة .
- الانتقال من الداخل النصي إلى التأويل الخارجي والعكس صحيح أيضا.
- المقارنة بين الظواهر الدلالية والمعجمية والبلاغية تآلف واختلافا .
- تجنب التزيد في التحليل الموضوعاتي واللجوء إلى الإسقاط القسري المتعسف ، وعدم تقويل النص ما لم يقله .
- بناء قالب نموذجي مجرد يستطيع أن يستوعب داخله تفاصيل العمل الأدبي المدروس .
- ربط الدلالات الواعية وغير الواعية بصورة المبدع الذاتية والموضوعية.[1]

لقد أشار رضوان ظاظا إلى بعض الإجراءات في المنهج الموضوعاتي، التي يهدف من خلالها النقاد الموضوعاتيون "إلى مجانسة قراءتهم للأعمال الأدبية : فهم

[1] - جميل حمداوي ، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي .

يسعون للكشف عن تماسكها الباطن ولإظهار الصلات السرية بين عناصرها المبعثرة " [1].

كما أضاف على ذلك " إن ما يفقده النقد الموضوعاتي أحيانا في عدم إظهار الفروق الدقيقة ، بسبب غايته الشمولية يستعيض عنه وللسبب ذاته ، بفضل حركية خطابه حول العمل الأدبي " [2] ، ذلك أن العمل الأدبي " متعدد المراكز ، والنقد الموضوعاتي يحل الرؤية البانورامية " .[3]

حسب رأي جميل حمداوي فإن المقاربة الموضوعاتية تعتمد على خطوتين أساسيتين وهما : " الفهم الداخلي للنص المقروء عن طريق كشف بنيته المهيمنة الدالة معجميا وتركيبيا ولسانيا وشاعريا ، وتأويله خارجيا اعتمادا على مستويات معرفية مرجعية مساعدة من خلال إضاءة الفكرة المحورية وتفسيرها " .[4]

[1] - رضوان ظاظا ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ص 107 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 108 .
[3] - المرجع نفسه ، ص 108 .
[4] - جميل حمداوي ، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي .

5- المنهج الموضوعاتي في أدب الرحلة : حقول النص الرحلي

تعددت نعوت وتسميات "أدب الرحلة" حسب مضمونها ، لهذا نجد أنها تنتسب إلى عدة مجالات ، فقد " تحدث البعض عن "أدب الرحلة" وهو قصد واضح بانتسابها إلى حقل السرد ، باعتبارها كتابة أدبية تتوفر على مكونات سردية وآليات كتابية تسمح للتصنيف أن يأخذ مشروعيته في خانة الأدبي "[1] ، فيما هناك نعت أخر يكتفي بالإشارة إلى " هذا الشكل باسم "الرحلة" فقط ، بهدف فتح نافذة إضافية أخرى ، على التاريخ ، واعتبار الرحلة مصدرا غميسا ، وسجلا إثنوغرافيا يعتبر الرجوع إليه أساسيا في حقل الأنتروبولوجيا ، ومادة جغرافية يجزم الجغرافيون بأن ولادتها كانت من رحم الحقل الجغرافي "[2] ، وهذا دليل على أن نص الرحلة نص متشعب ومتفرع ، لكونه نصا مفتوحا على خطابات متعددة

إن النص الرحلي نص غني بمعنى الكلمة ، فقد نسبه العلماء والدارسين إلى حقل يسمى " التراث النثري " لقول شعيب حليفي : " ينتب النص الرحلي إلى التراث النثري بشكل عام باعتباره سردًا ووصفا يعمدان إلى صياغات مشاهد رؤيوية أو مروية أو حُلُمية تنحدر من ذاكرة –في بعض الحالات– ذات جذور في الواقع المادي "[3] ، لهذا نجده نص واسع ومنتشر ومتحرر يشتمل على العديد من الحقول الدلالية ، فكان عبارة عن وعاء يستعملوه الرحالة لنقل تجاربهم الرحلية الفردية أو الجماعية ، مستشهدًا بأهم مجريات رحلته .

نظرًا لكون النص الرحلي نص مفتوح ، فقد عمد شعيب حليفي إلى وضع "دائرة التخصيب" يشرح فيها أهم الحقول المنتسبة إلى نص الرحلة ، لكون " النص الرحلي

[1]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس-آليات الكتابة-خطاب المتخيل، الهيئة العامة لفصور الثقافة، أبريل2002 ، 38.
[2]- المرجع نفسه ، ص38.
[3]- المرجع نفسه ، ص39.

ضمن دائرة متعددة المنافذ على أشكال أدبية وغير أدبية يتفاعل معها ممتصا جوهرها لاستثماره في تعزيز نصيته ، فتأتي قدرته على التكيف ونقل السرد من الرتابة إلى التجديد والمفاجأة بفضل الأشكال المحتضنة وتنوعها وما تشكله من أهمية في مسار البنية السردية " .[1]

إتباعا لدائرة التخصيب التي وضعها شعيب حليفي نرصد كيفية حضور وتمظهر هذه الأشكال داخل النص الرحلي ن وتفاعلها بصفتها بنيات صغرى تدعم البنية الرحلية ، ومن هذه الأشكال (الحقول) نذكر:

1- السيرة:

تهدف السيرة الذاتية إلى "تحقيق نوع من الترجمة والتأريخ لحياة الفرد/المؤلف عن طريق حكي استرجاعي يخص فترة السفر المحددة . ويتعلق الأمر بتدوين كتابة مذوتة ... أن السير الذاتية هي رحلات حياتية وفكرية في الوجود المادي والروحي ، مثلما هي الرحلات ، في العمق ، سير ذاتية محدودة "[2].

2- التراجم:

عادة ما تقوم كتب التراجم على أساس "تقديم المعلومات الجوهرية الاسمية مصحوبة ببعض التواريخ الميلاد أو الوفاة ، هذا بجانب ما قد يجده الإنسان في هذه التراجم من صفات التمجيد والثناء ربما مع ذكر لأعماله ، أو حتى أين توفي ، ومن الذي حمل نعشه"[3] إلى غير ذلك من التفاصيل الدقيقة .

3- التاريخ:

[1]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ، ص 48-49.
[2]- المرجع نفسه ، ص 49-50.
[3]- المرجع نفسه ، ص 54.

يرى شعيب حليفي أن الرحلة "ولدت في حضن التاريخ والجغرافيا . وحينما صارت قائمة بذاتها ، لم تنفصل عن مصدرها ، وإنما حولته إلى عنصر جوهري ، حتى أنه يمكن اعتبار كل ما يكتب تاريخا بشكل ما" .[1]

4- الجغرافية:

كثيرا ما تدون النصوص الرحلية الجانب الجغرافي البري أو البحري ، وذلك بوصف الطرق والمسالك ، ومعالم البلدان.[2]

5- السجلات الاجتماعية:

يعتبر الجانب الاجتماعي الذي تنطوي عليه النصوص الرحلية "رافدا أساسيا لإغناء النص وتوسيع أبعاده وتنويعها ، وخصوصا أن جل الرحلات لا تخلو من وصف طبائع الناس وعاداتهم وتقاليدهم وبعض خصوصيات ثقافتهم ".[3]

6- الخانة الفارغة:

يصطلح بالخانة الفارغة على "شكل مفتوح يضم مجموعة من العناصر المتخللة والمتغايرات التي تحضر بدرجات متفاوتة ، أو تختفي وقد تتحول بعض العناصر فيها إلى مكونات ذات حضور قوي أو متخفية فلا تؤثر في البناء العام" .[4]

إن هذه الدائرة التي يتبأر فيها النص الرحلي تتخصب بنيتها وتتشكل بالعناصر الأولية الرئيسية ، بالإضافة إلى أشكال أخرى تندمج في بنية النص وتنصهر فيه ثم تَسمُ الخطاب وترسم حدوده وآفاقه ، وتؤسس لدلالات مفتوحة تخلق نوافذ أخرى تكسر ما يجعل الدائرة منغلقة أو ذات تفاعل أحادي أو ثنائي ، فيتسع مستوى التلاحق والتخصيب .[5]

---

[1]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ، ص56.
[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص 58.
[3]- المرجع نفسه ، ص 61.
[4]- المرجع نفسه ، ص 62-63.
[5]- المرجع نفسه ، ص67-68.

أخيرا نستنتج أن للرحلة حقولا عديدة ، لخصها شعيب حليفي في دائرة التخصيب ، وهذه الحقول اعتبرناها مواضيع يتطرق إليها الرحالة في نص رحلته ، لهذا نستنتج أن الأساس الجوهري لهذه الدائرة –دائرة التخصيب– هو المنهج الموضوعاتي الذي يقوم على الفهم الداخلي للنص والكشف عن البنية المهيمنة وتأويلها، خاصة دراسة الموضوع والوصول إلى البنية الموضوعية وحصر العناصر المتكررة في تركيب العمل الأدبي و جمع النتائج وتحليلها .

الفصل الثالث : موضوعات الرحلة

أولا : السير والتراجم

ثانيا : التصوف

ثالثا : العادات والتقاليد

رابعا : تأليف الكتب

خامسا : التأريخ

سادسا : حياة المؤلف وسيرته

سابعا : النصوص الأدبية

إن المتصفح لرحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال " أول شيء يلاحظه أثناء قراءته لمضمونها تعدد المواضيع ، إذ تحتوي الرحلة على موضوعات كثيرة غير مترابطة ، وتوزعت مادتها على عدد من المجالات والميادين سواء العلمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ... ، واجتمع فيها خليط من الحوادث والأفكار والنقول والمذكرات وغير ذلك.

من المواضيع الأساسية التي تضمنتها الرحلة ، نقف على المواضيع التالية:

أولا: السير والتراجم:

نرصد في النص الرحلي عدة أشكال سردية، بحيث تحضر وتتمظهر بشكل واضح ومن هذه الأشكال نذكر "السيرة" ، والسيرة عبارة عن « تحقيق نوع من الترجمة والتأريخ لحياة الفرد/المؤلف عن طريق حكي استرجاعي يخص فترة السفر المحددة».[1]

اهتم **ابن حمادوش** في نص رحلته بسرد سير بعض الشخصيات المشهورة، بحيث قدم عدة تراجم تحوي في مجملها على" المعلومات الجوهرية الاسمية مصحوبة ببعض تواريخ الميلاد أو الوفاة ، هذا بجانب ما قد يجده ، الإنسان في هذه التراجم من صفات التمجيد والثناء ، ربما مع ذكر لأعماله أو حتى أين توفي ومن الذي حمل نعشه ".[(2)]

لقد كان **ابن حمادوش** حريصا كل الحرص على تخليد أحداث الشخصيات ، لذا نجد نصوصه بغاية الدقة ،حيث يذكر جميع التفاصيل التي وقعت عليها عينه دون نسيان التواريخ أو أي شيء آخر، ومن أبرز النماذج نذكر وفاة **الحاج ابن كرشال** بالوباء، بحيث يقول عنه المؤلف: «ولمضي أربعة أدراج من غروب الشمس ليلة

[1]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ، ص51.
[2]-المرجع نفسه، ص54.

الجمعة مات الحاج عبد القادر المذكور بالوباء شهيدا، رحمه الله، يصلي من غروب الشمس إلى أن سجد، فمات في سجوده، رحمة الله عليه، وكفناه في ساعته وغسله الحاج عبد الرحمن التطاوني، وصليت عليه إماما مع الجماعة كلهم بعد صلاة العشاء. ونزل معه مغسله وآخرون من النصارى في الفلوكة إلى أن بعدوا عنا وربطوا معه شكارة من الرمل فثقلوه بها وألقوه في البحر وأتوا».[1] وهنا نجد أن المؤلف ذكر عملا حميدا للحاج المتوفي ألا وهو الصلاة، فقد كان مداومًا على الصلاة حتى توفي وهو ساجد، وذكر أيضا مراسيم جنازته بأدق التفاصيل.

ينتقل المؤلف إلى ذكر سير وتراجم أهم الشيوخ الذين أخذ عنهم الإجازة، من ذلك دراسته لفهرس البناني ونسخه له، ففي أول الأمر عمد المؤلف إلى اختصار الفهرس نظرًا لطوله، لكن البناني رفض منحه الإجازة على ذلك النقل المختصر، فكان عليه أن ينسخ الكثير حرصا على الإجازة .[2]

من بين الشيوخ الذين تطرق إليهم وذكر سيرهم الشيخ " ***محمد الفاسي***" يقول « أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام الشهير البركة أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، قرأت عليه ... ولازمته، رضي الله عنه، للأخذ والرواية والتحديث والتذكير إلى أن توفي في رجب سنة ستة عشر ومائة وألف(1116)، وكانت ولادته سنة اثنين وأربعين وألف(1042)، قلت فكان عمره قريبا من أربعة وسبعين ».[3]

وفي الموضع نفسه يذكر الشيخ "**أحمد بن العربي بن الحاج**" ويعرف به حسب ما جاء في فهرس البناني، فيقول بعد تمهيد يصف فيه الشيخ العلامة :" المبرور سيدي أحمد ابن العربي ابن الحاج بن عرف ، قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه... وتوفي، رضي الله عنه أول ربيع النبوي سنة تسع ومائة وألف، وهو

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص31-32.
[2] - ينظر ، المصدر نفسه ، ص 40 .
[3]- المصدر نفسه، ص41.

يشارك/الأول في أكثر شيوخه المغاربة والمشارقة... وغيرهم ممن لقيه وأخذ عنه بالبلاد المشرقية وقد استوفيت ذكرهم وأسانيدهم في فهرسة جمعتها في ذكر مشائخه عن إذنه رضي الله عنه .[1] وهنا في هذا الموجز ذكر مسيرة البناني مع شيخه احمد بن العربي بن الحاج وأهم المؤلفات التي درسها على يده، مستفيدا من تجربته ومكتسباته التي أخذها من شيوخه المغاربة والمشارقة .

لقد عمد المؤلف أثناء نسخه لفهرسة البناني إلى ذكر العديد من السير والتراجم لعدد من المشايخ الذين أخذ عنهم البناني، بحيث قدم تفاصيل عن كل شخصية محددًا تاريخ ميلاده ووفاته وأهم منجزاته والعلوم التي برز فيها مع ذكر مسيرة البناني معه ، وأهم الدروس والمؤلفات التي قدمها له، ولوجود عدد معتبر من سير المشايخ المذكورة من قبل **ابن حمادوش** أثناء نسخه للفهرس، فقد عمدنا إلى تقديم نموذجين فقط نظرًا لكثرة السير والتراجم.

كان ابن حمادوش يستطرد في بعض المواضع فيعرف بإيجاز بسير بعض الأعلام، من ذلك ما ذكره عند حديثه عن دخوله مكناس،حيث التقى بعلمائها ومن بينهم **سيدي عبد السلام القباب** يقول:" وفي يوم الاثنين التقيت بسيدي عبد السلام القباب بلغني أنه من خيارهم، فلم أجده يحسن شيئا غير علم التوقيت، وهو موقت جامع النجارين ، فأجمعت معه حسن اللقا . وهو أخبرني أن موقت الجامع الكبير سيدي عبد القادر الفاسي... وأخبرني أن عنده تأليف في الأحكام غير ابن متجر فألزمته /أن يأتيني به فأتاني به من الغد ".[2]

قدم المؤلف هنا قدم موجزا مختصرا عن سيرة سيدي عبد السلام القباب دون ذكر تاريخ ميلاده أو وفاته، فقد اكتفى بذكر العلم الذي اختص به والتأليف الذي أعاره إياه.

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص43 - 42.
[2]- المصدر نفسه ، ص78.

نقف مع تواصل صفحات الرحلة على ذكر عدد كبير من الأعلام الذين حرص المؤلف على التعريف بشيء من سيرهم، من هذا ما سطره من تفاصيل وقعت معه بعد مرور أيام على مكوثه في مكناس، يقول أنه التقى بسيدي "احمد بن المبارك" فسأله القراءة ففرح بذلك فرحًا شديدًا وقبل ، فقد كان «رجلا عظيما عند كافة أهل البلد، خفيف النفس، حلو المنطق، نحيف الجسم، حسن الملاقاة».[1]

يسجل المؤلف إعجابه بهذا الرجل،ونظرًا لخصاله الحميدة عمد إلى إنشاء قصيدة يمدحه فيها، و يحرص ابن حمادوش على تنبيه القارئ إلى أن احمد ابن المبارك أعجب بالقصيدة، كما أنه افترق عنه لأنه كان مشتغلا بمراسيم المولد النبوي، وبعد مرور أيام على الحدث عاد إليه فابتدأ بقراءة مختصر السنوسي في المنطق بحيث يقول : " ابتدأت قراءة مختصر السنوني في المنطق على الشيخ الفاضل، سيد أحمد بن المبارك، فلم أر مثله في تحقيق المسائل وتحريرها وتواضعه ونصيحته للطلبة، جزاه الله خيرا".[2]

نلاحظ أن **ابن حمادوش** ركز كثيرا على الزمن فيما تعلق بهذه السير والتراجم، باعتبار الزمن عنصرًا أساسيًا في نظام رحلته، ونلاحظ أن موضوع السير والتراجم قد تكرر في ستة وعشرين موضعًا تقريبا في نص الرحلة.

كما كان المؤلف في بعض الأحيان يعرف بإيجاز شديد بسير بعض الأعلام وهذا ما يصادفنا أثناء دراستنا لمحتوى الرحلة، لهذا اكتفينا بذكر النماذج السابقة فقط والاستشهاد بها .

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص83.
[2]- المصدر نفسه ، ص85.

ثانيا: التصوف :

لقد كان ابن حمادوش مهتما بالتصوف، لهذا نجده يهتم بكتب التصوف و بكل ما كتب عن الموضوع ، ومما يدخل في باب التصوف ويتصل بهذا الموضوع نذكر:

1-زيارة الأضرحة:

نرصد في نص الرحلة أنموذجًا واحدًا عن التصوف الطرقي ، حيث يروي لنا المؤلف زيارته لضريح الشيخ الريفي ، فيقول : " وفي يوم الخميس الموالي له ، ذهبت لزيارة سيدي علي الريف راجلا ، فقطعت واد الكتان إلى أنصاف فخذي ، وهو واد عظيم من أفضل المياه ، فبلغت له ضحاء".[1]

ثم يواصل وصف حيثيات مكثه في الضريح و من لقيهم هناك، فيقول:" ليقني خادمه وسلم علي وأدخلني قبة قبر الشيخ فأجلسني عنده وذهب . فبقيت/ إلى قرب الزوال إذا بعبد الجليل بن عبد اللطيف ... فدخل القبة ، فوجدني جالسا فسلم علينا وسلمنا عليه و قبلنا يده لما كنا نعتقد فيه . وكان رجلا حلوا كأنه أحيانا يصادف بقوله ما يضمره الزائر ، وعقد بيني وبينه عهدا ولم أدر ما ذاك . فخرجنا و انصرفنا مفترقين ، كما قدمنا " .[2]

يبدو أن المؤلف تحمل المسافات لأجل الوصول إلى ضريح سيدي علي الريفي، للقيام بالزيارة فقد ذهب إلى المكان المنشود راجلاً ، فقابله خادمه وأدخله قبة القبر ليتم زيارته التي أتى من أجلها ، بحيث قضى مبتغاه ، لكن عاد في وقت أخر لزيارة الضريح فكانت عدد زياراته له على حسب ما صرح به أبو القاسم سعد الله في الهامش ثلاث زيارات ، ثم بعد ذلك رجع إلى وجهته لطلب العلم .

[1] - ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 33.
[2]- المصدر نفسه ، ص 33.

2- التعريف بالمتصوفة:

مما ذكره المؤلف أخذا عن فهرسة البناني، نجد أنه وقف وقفة خاصة مع الشيخ " أحمد بن العربي بن الحاج " الفقيه الصوفي، فحلاه بعبارات التوقير وألفاظ التبجيل، يقول عنه : " شيخنا موطأ الأكناف ، كثير الإسعاف ، العالم العلامة النحرير الدارك الفهامة الفقيه المحدث الصوفي الألمعي الذكي العارف بالله ، الخاضع الخاشع إليه أهل زمانه عطفا ، وأشدهم لله خوفا في الموفي (كذا) في السكون والحركة ، المقرونة أحواله باليمين والبركة ، المبرور سيدي أحمد ابن العربي ابن الحاج به عرف ، قدس الله روحه ، وأسكنه من الجنان فسيحه ...وتوفي ، رضي الله عنه، أول ربيع النبوي سنة تسع ومائة وألف ، وهو يشارك:الأول في أكثر شيوخه المغاربة والمشارقة ، ويزيد بالأخذ عن الإمام حامل راية المذهب المالكي بالمغرب "[1] ، إن هذه التعاريف وهذه الأوصاف تدل على التوجه الصوفي لابن حمادوش وتعظيمه لأهل التصوف وأعلامه.

ويواصل صاحب " لسان المقال " التعريف بمجموعة من الشيوخ الذين أخذ عنهم، فيذكر من جملتهم أحد المشهورين بالزهد والورع، وهو الشيخ " علي بن محمد بركة التطواني " المعروف بالحاج ، يقول عنه :" شيخنا العلامة الناسك العابد المنقطع الزاهد المفرد ، المكثر العبادة ، والمتصف بصفات الورع والزهادة ، /الشيخ العظيم البركة ، الحاج الأتقى الابر أبو الحسن سيدي علي بن محمد بركة التطاواني ، المتوفي بها سنة أحد وعشرين ومائة وألف (1121)" .[2]

هذه نماذج عن التعاريف التي رصدناها في نص الرحلة ، و التي تخص الشيوخ المتصوفة الزهاد الذين أخذ عنهم ابن حمادوش في رحلته ، إلى جانب تعاريف أخرى كثيرة لشيوخ متصوفة .

[1] - ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 42.
[2] - المصدر نفسه ، ص47-48.

3- الأوردة والكتب الصوفية :

ضمن المؤلف رحلته ذكر أسماء بعض الأوراد الصوفية كقوله :" وفي هذه الأيام أخذت دعوتي الفاتحة واللطيف وبعض أوراد أخرى . وجمعت ذلك في تأليف وحده. نسأل الله أن يتم أعمالنا وأن يستجيب لنا.أمين" [1]، ومن جهة أخرى يذكر ابن حمادوش مجموعة من الكتب في علم التصوف ، والتي بلغت تسع كتب ، ومن بينها نذكر على سبيل المثال : "قوت القلوب " لأبي طالب المكي ، الذي حرص على ذكر أنه يرويه بالسند المتصل، يقول: " وأما قوت القلوب /لأبي طالب المكي محمد بن علي المكي ، رحمه الله ورحمنا به ، فنرويه عن سيدي عبد الله البصري ، عن شيخه سيدي محمد البابلي ، عن أحمد بن عيسى بن جميل الكلبي ، ... عن عمر بن أبي طالب بن علي المكي ، والده . رضي الله عنه وأرضاه " .[2]

[1] - ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 266.

[2] - المصدر نفسه ، ص 294.

ثالثا: العادات والتقاليد:

يعد أدب الرحلة نوع من الأنواع الأدبية التي تنقل العديد من العناصر الثقافية وذلك من خلال ما يصادفه الرحالة من مظاهر وعادات وتقاليد للمناطق التي يزورها ، واصفا تجربته وانطباعاته عن أفراد مجتمعاتها، مسجلا أساليب وطرق عيشهم وتصرفاتهم في الحياة، وقد نبه المحقق أبو قاسم سعد الله إلى عدة مواضع للعادات والتقاليد والتي حصرها في سبعة مسائل وهي كالآتي:

عادة فرض المكوس، ذكر صلاة المعهودة عند ختم صحيح المسلم، رش الخدم لماء الورد على الناس بالجامع الكبير، ليلة القدر، مولد النبوي، عيد الأضحى ، بعض عادات أهل فاس و الجزائر.

ومن بين هذه المسائل ارتأينا أن نأخذ نماذج معينة، ومن ذلك:

1 – العادات والأنظمة الاقتصادية:

من النصوص التي تصف لنا جانبا من العادات والأنظمة المتبعة عند مجتمع ما في إقليم معين، نقف على:

-عادة فرض المكوس:

عالج **ابن حمادوش** هذه المسألة واصفا لعادات مدينة تطوان، والذي ذكر فيها أهم طبائع أهل المدينة، يقول « وكانت عادة قبيحة بتطوان ابتدعوها، أنهم يأخذون كل ما معك، ويحملونه إلى دار العشر، ثم يدفعون مالا منفعة لهم فيه.ثم يتخلصون إلى أكل أموال الناس بالباطل، فيفتحون كلما معك ويأخذون خمسة لكل مائة ملسا، وتدفع من يدك زائد على الخمسة أجرة العدول والعساس والقوافي والحمال وكل الملازم، فكان سنتنا أن وجدنا باشا تطاون زهي بنفسه فظن عليه سيده فخرج له بمحلة عظيمة». [1]

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص31 .

من خلال ما ذكره **ابن حمادوش** من أوصاف، نفهم أساس اعتبار فرض المكوس عادة من العادات السيئة والقبيحة، وذلك لما تحمل خسائر وخيمة في تجارته.

2 – العادات الاجتماعية والتقاليد الدينية:

أسهب المؤلف في ذكر و وصف العادات الاجتماعية ذات الصلة بالدين، ومن العادات الاجتماعية والتقاليد الدينية المعالجة في رحلة **ابن حمادوش**، نذكر:

أ–عادة الاحتفال بعيد الأضحى:

استهل **ابن حمادوش** كلامه عن يوم عيد الأضحى بوصف الأجواء السائدة في مدينة تطوان، بقوله « وفي يوم السبت صنع عيد الأضحى بغتة. كان مطر غزير وسحاب ليله ونهاره. إلى الضحاء أتت بينة من طنجة فصنع العيد وذهبنا إلى المصلى فخرج قائدهم في جماعته وبين يده حربة عالية طويلة جدا... فرجعنا ومؤذن الزوال يؤذن .ولو لم يكن المطر لأذن ونحن بالمصلى ». [1]

ب– ذكر الصلاة المعهودة عند ختم البخاري:

عرض **ابن حمادوش** أحوال وعادات أهل مدينة الجزائر، وأهم الأحداث الواقعة في هذه المنطقة، كما اهتم بتسجيل ما يلاحظه ويعايشه في أسفاره من عادات بقية أقاليم المغرب العربي.

نقف مع نموذج أول، متعلق بنص التصلية التي يقرؤها الجزائريون جماعة في الجامع الكبير عند ختم صحيح البخاري، و قد بدأ المؤلف بوصف كل ما جرى في ذلك اليوم، يقول:« فلما التقينا، بعد صلاة ظهر هذا اليوم، لنلقف بخاري الدراية، بعد الصلاة، فقرأ المصلي باب الوضوء قبل الغسل الخ. ثم تبع الشيخ شرح ذلك. وصلينا على النبي الصلاة المعهودة في الجزائر عقب البخاري، وهي: اللهم صلي أفضل

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 107.

صلاة على أشرف مخلوقاتك، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون، ورش الخدم ماء الورد الناس. وطلبت منه إعادته لأنسخه فوعدني إلى الغد، وهي عندنا ليلة القدر، لأنها ليلة سبع وعشرين بالرايا ».[1]

قام **ابن حمادوش** بتسجيل الأحداث ورسم المشاهد السردية،وكان يعتمد على مبدأ الصدق والثقة في كل ما يقدمه من وصف للأحداث والوقائع.

ج-عادة الاحتفال المولد النبوي في الجزائر وفاس:

وصف **ابن حمادوش** عادة الاحتفال المولد النبوي في منطقتي الجزائر وفاس، حيث يقول متحدثا عن نهاية لقائه بالشيخ أحمد بن المبارك :« وفارقته لأنه كان مشتغلا بالمولد، لأنهم يعظمون المولد بالذبائح وغيرها. وفي ذهابي له لقيت الطبالين والعياطين/ وآلات الطرب كلها في السوق، ذاهبين بأربعة قباب من شمع، كل واحدة من لون، واحدة من لون، أحدها خضراء وأخرا بيضاء، وأخرى حمراء، والرابعة نسيت لونها، أخف مما يجعل في الجزائر عندنا ».[2]

يعكس النص جذور الطقوس الاحتفالية التي تصاحب الاحتفال بالمولد النبوي، و هي عادة دينية تزرع البهجة والسرور في نفوس المسلمين جميعا،و إن كانت تمتاز كل منطقة بطريقتها الخاصة في الاحتفال.و في الجزائر وفاس لاحظ ابن حمادوش تشابه الطقوس الاحتفالية، حيث يقوم الناس بإشعال الشموع إلى غير ذلك، فهذه العادة موروثة من الأجداد والتي مازالت سائدة وحاضرة إلى يومنا هذا.

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 125.
[2]- المصدر نفسه، ص84.

رابعا: تأليف الكتب :

لقد كان ابن حمادوش مهتما بالكتب قراءة وتأليفا، لم يمنعه اشتغاله بالتجارة عن إعطاء أولوية كبيرة للعلم في حياته، و قد كان " يتردد على المغرب للتجارة والعلم .فقد وجدناه أيضًا هناك سنة 1156 ، حين أطال فيه الإقامة ، ووصف نشاطه . فقد درس على عدة مشائخ في تطوان و فاس ومكناس وأجازوه وجلس للتدريس بعض الوقت ، واشترى وطالع ونسخ الكتب الكثيرة ، وعاين الثورات السياسية والعادات الاجتماعية والتطورات الاقتصادية في المغرب ووصف وكتب عن كل ذلك . وبعد أكثر من عام عاد ابن حمادوش إلى وطنه وقد اكتسب علمًا غزيرًا " [1] ، مما جعله يبرع في فن التأليف ، فقد حصد من خلال رحلته العديد من المؤلفات في شتى التخصصات والميادين ، فهو كما قالت عنه كتب التراجم والسير " صيدلي وطبيب وحساب وفلكي وفرضي ومنطقي " .[2]

ألف ابن حمادوش في عدة علوم كالطب والنحو والمنطق والفلك والأدب وغيرها، لهذا نرصد في الرحلة مواضع كثيرة يتحدث فيها عن هذا الموضوع –لتأليف، ومن أهم ما ذكر "تأليفه للرحلة" ، بحيث أرخ بدايته في تأليفها بقوله : " الجزء الثاني من رحلته (لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال) مبدؤه من أول ليلة الاثنين فاتح عام 1156 عربية الموافق رابع عشر فبراير ثاني شهور سنة 1743 مسيحية ، وخامس شهور سنة 2054 إسكندرية " [3] ، أما النهاية فكانت غير معلومة وغير معروفة الآجل ، ولهذه الرحلة جزءٌ أول و الدليل قول المؤلف : " وفي يوم الخميس ، ثالث وعشرين رمضان ، موافق ثامن عشر أكتوبر تممت الجزء الأول من

[1] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1998 ، ص 427 .

[2]- عبد ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 10.

[3] - المصدر نفسه ، ص 29.

هذا التأليف " [1] ، لكن هذا الجزء –الجزء الأول– في وقتنا الحاضر ضائع لم يصل المحقق إليه ولا غيره.

من بين المؤلفات التي تحدث أنتجها المؤلف وذكرها في نص الرحلة نجد " الروزنامة" ، فقد أرخ لتأليفه هذا بقوله : " و في يوم الجمعة ثامن من محرم ، ثم يوم الجمعة ألفت الروزنامة " [2]، كما نوبه أنه عمد إلى تأليف شرح قصيدة المربع علي كردفر " أحد أعمال أبي معشر الفلكي ... انتهى منه بعد عودته إلى الجزائر " [3] ، فيقول عن هذا المؤلف في موضوع علم الفلك :" وفي يوم السبت الثالث من الشهر ألفت فيه شرح قصيدة المربع علي كردفر، وبالله التوفيق . وفي يوم الثلاثاء تممت الشرح المذكور ولواحقه " .[4]

لقد كان للمؤلف مكتسبات قبلية عن المنطق إثر دراسته لمختصر السنوسي في المنطق ، لهذا نجده يؤلف كتابًا عما درسه وهو في المغرب ، إذ حكي عن تجليده وتبيضه لكتابه "الدرر المختصر" ، يقول :" إلى يوم الاثنين السادس عشر (من) الشهر المذكور ، ابتدأت أسفر كتبي . ويوم الأربعاء ابتدأت أنسخ أخرج الدرر المختصر من مبيضته شرحا عجيبا علقته على مختصر السنوسي في المنطق "[5] ، وفي موضعٍ أخر يكمل الحديث عن مسيرته مع الكتاب ، فيحكي لنا انتهائه من إخراجه ، يقول :" وفي يوم الثلاثاء سابع ربيع الثاني فرغت من تخريج الدرر على المختصر ".[6]

[1] - ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 124.

[2] – المصدر نفسه ، ص 110.

[3] – المصدر نفسه ، ص 107 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 107 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 114.

[6] – المصدر نفسه ، ص 119.

ترك ابن حمادوش عدة مؤلفات تشمل مختلف الميادين العلمية ، فقد رأى في ميدان الطب وجوب التأليف فيه ، لما له نفع للعباد وفائدة للعامة ، ونظرًا لميله إلى ما يسمى اليوم بالعلوم الرياضية و الطبية وما شاكلها ، فقد اهتم بالتأليف فيها، فألف في الطب كتابا أطلق عليه اسم "الجوهر المكنون" ، يتحدث عنه في هذا النص :"وفي يوم الاثنين أول يوم من ذي الحجة ابتدأت تأليف الجوهر المكنون من بحر القانون ، تأليف حسن في الطب ... فهذا جوهر مكنون من بحر القانون ، يتوشح به الأصاغر ولا تمجه الأكابر، والله المستعان ، وعليه التكلان"[1] ، وقد جعل الكتاب مرتبا على أربعة أجزاء ، فقد كان الجزء الأول مخصصا للحديث عن السموم وعلاجها ، أما الجزء الثاني فقد خصصه للترياقات ، أما الجزء الثالث فقد تحدث فيه عن الأمراض ، أما ختام الكتاب أي الجزء الرابع فجعله في حل الألفاظ والمفردات وتعريبها ، وبعد مدة من الزمان انتهى المؤلف في إعداد كتابه ، فيقول :" ويوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الأول تممت الجوهر المكنون من بحر القانون في الطب " .[2]

لم يهمل المؤلف علوم الشريعة، وإرضاء لميولاته الدينية ، فقد ألف كتابا في العقيدة، وجعل له عنوانا "مباحث الذكرى" الذي تعرض فيه إلى عدة مسائل في العقيدة، يوضح ذلك بقوله: " ثم في يوم الثلاثاء أخر يوم من رمضان/بالرؤيا وأول يوم من شوال بالعلامة ابتدأ استخراج شرحي المسمى مباحث الذكرى في شرح العقيدة الكبرى ، مزجت به ألفاظها واستخراج به نضارها . فجاء بحمد الله يرضى الناظرين ويعين القاصرين مشتملا على خمسة وستين مبحثا ... وتممته ، والحمد لله "[3]، في التاسع وعشرين من ذي القعدة .

[1]– ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 161.
[2]–المصدر نفسه، ص 162.
[3]–المصدر نفسه ، ص 236.

من بين العلوم التي برع فيها ابن حمادوش ما سماه "علم البونبة" الذي يقصد به المتفجرات ، فقد ألف فيها كتابًا يتحدث فيها عن كيفية صنعها ورميها وعجن بارودها ، لقوله: " إلى يوم السبت حادي عشر ربيع الأول موافق لثاني وعشرين مارس خرجت لباب الواد مع أسط محمد ابن المبوثباجي بمهراس صغير لنتعلم رمي البونبة ، فتممت ما بقي لي . والحمد لله ، وأخذت علم البونبة بارتفاعها وتعميرها ورميها وعجن بارودها. فأنا من علمائها. والحمد لله . وجمعت فيها إلى تأليف سيدي عبد الرحمن الفاسي" [1]، وبعد فراغه من هذا التأليف انتقل ليؤلف في علم البلوط وهو اللفظ الأجنبي المعرب الذي يقصد به القيادة، فهذا العلم يختص بطرق البحر وما يخص ركوب البحر كالرياح ، فيقول : " إلى يوم الجمعة خامس عشر الشهر الذكور الموافق خامس وعشرين /أبريل ابتدأت تأليف البحر ، أي أجمع فيه ما أتعلم من علم البلوط ، أي العارف بالطرق في البحر . وكانت يدي قد صحت في هذا العلم، والحمد لله"[2]، وبجانب هذا فقد رسم خريطة لرياح البحر لتساعد الملاحيين و الصيادين في عملهم ، ونجده أيضا يؤلف في الإسطرلاب،يقول:" وفي ثامن وعشرين جمادي الثانية ، يوم الأحد موافق سادس يوليه ، تعلمت صنعة عمل الإسطرلاب والربع المقنطر ، وألفت فيه تأليفا " .[3]

من غريب ما وقفنا عليه في رحلة ابن حمادوش مما يتصل بموضوع تأليف الكتب، وضعه في متن الرحلة تعريفا (حدا) لآلة فلكية كان قد ألف فيها تأليفا، غير أنه لم يضع هذا التعريف في المؤلف المذكور، إذ يقول عن تألفيه في قوس الشمس:"وفي يوم الاثنين ثاني وعشرين ذي القعدة موافق رابع وعشرين نوفمبر اشتريت القوس الذي يأخذ به النصارى الشمس . وتعلمته وألفت فيه ، ولكن لم أحده . وهنا

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 254.
[2]– المصدر نفسه ، ص 255-254.
[3]- المصدر نفسه ، ص 257.

أحده فأقول: هو آلة ذات قوسين يبصر ماسكها من خرمي هدفتيها الأفق الشمالي بالعين ، بشرط أن يساتر بظل الهدفة الثالثة العليا شق الهدفة السفلى على الأفق مجتمعين ،فإذا ساتر كانت الدرجة في قوس والدقيقة في الأخر من القوسين "[1].

لابن حمادوش مؤلفات أخرى غير هذه التي ذكرنا، اشتملت على عدد من العلوم سواء الدينية أو الدنيوية، وقد تكرر حديثه عنها في نص الرحلة أزيد من خمسة عشر مرة، ما يؤكد أن الرحالة ابن حمادوش رجل ذو ثقافة واسعة وذو روحٍ محبة للعلم لهذا احتفت مسيرته بالعديد من المؤلفات .

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 264.

خامسا: التأريخ :

إن الرحلة في جوهرها عبارة عن قالب يحوي عدة عناصر هامة تجعل منه شكلا أدبيا بالغ القيمة، ومن بين هذه العناصر الجوهرية التي نجدها متغلغلة في نص الرحلة عنصر "التأريخ" ، فالرحالة أثناء رحلته يتعرض للعديد من الأحداث التي يصادفها في طريقه ، فيقوم بتدوينها لتخليدها ، خاصة الأحداث الهامة التي لا يمكن التغاضي عنها ، لهذا نجد أن ابن حمادوش قد أرخ للعديد من الأحداث الهامة التي صادفها أثناء رحلته إلى المغرب وعودته للجزائر أيضًا.

ومن بين الأحداث الهامة التي شاهدها أو بلغه خبرها من قريب وأرخ لها ابن حمادوش نذكر:

1- تزوير اليهود وثيقة لإسقاط الجزية:

وقعت الحادثة عام 1015هـ، يقول صاحب رحلة لسان المقال:" وفي يوم الأحد الثامن والعشرين من محرم قرأ الشيخ البناني أول تقريره وينقض بقتال إلى آخر باب الجزية من سيدي خليل . وقال في قوله: ومنع جزية أي إن منعوها فرد بتعصب بظالم . وإما أن تحيلوا عنا بحجة شرعية ، كما وقع ذلك عام خمسة عشر ومائة وألف بمكناسة ... فكتب تحته موافقا له على تزويرها ، وذلك لما نظروا في التأليف المذكور ، قال فأفسدها بهم من جهة التاريخ وأن حجتهم مؤرخة عام خيبر وإسلام معاوية بعد فتح مكة " .[1]

2- الاضطرابات السياسية بالمغرب:

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 64.

اتفق للمؤلف أثناء مكوثه في المغرب أنه كان شاهد عيان للعديد من الثورات نظرًا للوضع السياسي المضطرب السائد آنذاك ، مثلما وصف لهم أحداث ثورة حاكم تطوان على السلطان عبد الله، يذكر سبب الخلاف فيقوله:"أنهم أنسوا الفتنة والهرج ، ونحن قريب من المرج . وذلك أن يوم الخميس سابع أبريل الموافق لثالث وعشرين صفر ، وقع قتال بين العسكرين [الذي] أشرت إليه أول هذا الجزء . وذلك أن الباشا أحمد بن عبد الله الريفي كثر ماله وتجبر في نفسه وطغى على عباد الله حتى قرر المكوس كأنها سنة "[1]، ونجد أن المؤلف هنا شديد الدقة في الوصف ، لذكره أهم وأدق تفاصيل الحادثة ، فلقد امتاز ابن حمادوش بنظره الثاقب ، وذاكرته القوية ، وبعد أيام من الحادثة وصل إلى المؤلف خبر انتصار السلطان عبد الله على حاكم تطوان الباشا أحمد بن عبد الله الريفي الجائر فذكره في رحلته.

من المشاهد المرعبة التي سجلها ابن حمادوش من جراء هذه الحرب الأهلية بالمغرب، أنه كاد أن يذهب ضحية لها، لكن في الأخير نجا بحياته، فيقول في هذا الصدد:"وكان أشد يوم علي وأصحابي بفاس الجديد. دخلناها لما كثر الهرج فسلمنا ، والحمد لله ، بعد أن اختطف لبعض أصحابنا عمائمهم ، وردت إليهم . وفسدت السبل بينها وبين فاس البالي . حتى اجتمعنا جماعة كبيرة نحو المائة نفر ، فأتينا فاس البالي ، والناس يهنونا كأننا كنا بثغر من ثغور الخوف . والسلطان في هذا كله لم يغضب. نسأل الله العافية" .[2]

3- خسوف القمر:

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 75.
[2]- المصدر نفسه ، ص 97.

سماه كسوفا و أرخ له و ذكر بدقة وقت حصوله: "وفي خامس عشرة ليلة كسوف ثلثي القمر لمضي خمسة وعشرون درجة من غروبه ، ولونه أحمر"[1].

4- حادثة "رفض النصارى فدية الأسرى الجزائريين"وغضب الأمير:

يحكيها ابن حمادوش في ما نصه: " يوم الاثنين سادس الشهر المذكور جاء أوراق من بر النصارى وأنهم لا يريدون فداء المسلمين ، وخصوصا ابن الحاج موسى ونظرائه من الرؤسا المشتهر أمرهم . فغضب أميرنا إبراهيم باشا... وحلف ألا تبقى كنيستهم بالجزائر.... فصولح عليهم أن تغلق الكنيسة إلى أن يوجهوا منهم من يقوم بما أراد، وإلا هدمت، فغلقوها... وها نحن منتظرون ما يقع ".[2]

نظرًا لكثرة الحوادث في نص الرحلة والمؤرخة من طرف ابن حمادوش ، عمدنا إلى ذكر بعضها فقط ، فقد ذكر ابن حمادوش بجانب الحوادث التي ذكرناها حادثة رفض استقبال سفير عثماني في الجزائر ، وحادثة الحجز الصحي على مركب حجاج من الإسكندرية لخوفهم من الوباء المنتشر آنذاك ، وحادثة وفاة أحد أبنائه، وحادثة زواوة سنة 1158، وحادثة صلح بين الجزائر والدنمارك، وغير ذلك كثير في الرحلة.

تكرر –التأريخ– للأحداث والظواهر في نص الرحلة أكثر من أربعة عشر مرة، لمشاهدات عبر الجزائر والمغرب، لذا عُدَّت هذه الرحلة جزءا من التراث الجزائري والمغربي في الوقت نفسه، وسيرة للمؤلف لما حوت من أحداث مهمة عن البلدين والمؤلف.

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 118.
[2]- المصدر نفسه ، ص 119.

سادسا: حياة المؤلف وسيرته:

يصح اعتبار رحلة عبد الرزاق بن حمادوش أنها" مصدر هام لحياة المؤلف نفسه . بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى ، فهي مرآة حياته ونشاطه وتفكيره ".[1]

نقف في نص الرحلة على فقرات طويلة تكشف للقارئ عن تفاصيل كثيرة مرتبطة بظروف حياته الشخصية والعلمية، وحياته الفردية والعائلية، و من أهم ما يمكن التركيز عليه في هذا الجانب باعتباره موضوعا من مواضيع الرحلة:

1-حياته العائلية:

بعد رحلةٍ دامت قرابة خمس سنوات عاد المؤلف إلى الجزائر ، فأول ما قابله خبر إنجاب زوجته ، يقول : " ونزلت في حيني ودخلت داري في أول الساعة الثانية ، فوجدت عندي ولدين ، سيدي الحسن وسيدي الحسين ، ولدتهما زهرا ، زوجتي ، توأمين ، ولدتهما بعد نصف الليل لمضي نصفه . أما في الساعة السابعة أو الثامنة ازداد حسن وفي الثامنة أو التاسعة ازداد حسين ، من ليلة الجمعة ثامن وعشرين ربيع الأول من عام 1156 – ستة وخمسين ومائة وألف – فوجدتهما كالفهدين ، فسررت بهما " [2] ، وفي اليوم التالي عاد إلى كتبه ليرتبها ويجلدها ويبيضها ، وفي ذلك الحين " إذا بأختي وأمي وأخي في قلوبهم الضغائن فتحركوا للخروج من عندي " .[3]

نظرًا لاشتغال المؤلف بالكتب وتحصيل العلم ، فقد كان يهمل بيته كثيرًا ، حتى ملت منه زوجته ، ولما عاد في منتصف النهار للغداء وجد " الأهل في قلق . ففي

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص24.
[2]- المصدر نفسه ، ص 114.
[3]- المصدر نفسه ، ص 115.

يوم/الجمعة خرجوا كلهم وأيقنوا أني بعد خروجهم أتعب مع الزوجة كثيرا لأنها لا تستطيع السكنى وحدها فبقيت في هول عظيم من الزوجة، وأنا لا أترك الكتب".[1]

ثم يضيف تطورات مشاكله في زواجه بسبب خسارة تجارته في المغرب، فيقول: "إلى يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول غضبت لدار أخيها وأرادت الفراق . وكان بيني وبينها ولدان سيدي حسن وسيدي حسين أصلحهما الله ، صغارا لم يبلغوا عاما . فبقيت متحيرا، ولم أترك الكتب"[2].

ثم يضيف مبررا ومتحسرا:"وكنت تعبت في السنة الماضية في المغرب من مرض وخسارة وضيق . ولم أر قط ما رأيت فيه من ضيق العيش والخسارة، والعياذ بالله ، حتى أيقنت الهلاك . فقدمت وجدت من الزوجة مثل ذلك . ولم أرها فرحت بقدومي ، لأنها أيقنت أن أكثر المال ضاع لي فلم يبق لها غرض فيّ ، ولم تر لما عندي من العلم"[3].

2- سيرته العلمية :

أما فيما يخص سيرته العلمية فقد كانت مليئة بالإنجازات في شتى الميادين كالطب والفلك والأدب والتاريخ وغير ذلك.

كانت ثقافة ابن حمادوش كما يقول المحقق أبو القاسم سعد الله " هي ثقافة معاصريه ولكنه انفرد عنهم بالتخصيص في الجانب العلمي من هذه الثقافة. فبينما درس مثلهم العلوم الشرعية واللغوية وأخذ العلم مثلهم أيضا قراءة وإجازة ، نجد ابن حمادوش يميل بطبعه إلى ما يسمى اليوم بالعلوم الرياضية والطبية وما شاكلها . فهو

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص115.
[2]- المصدر نفسه ، ص 115.
[3]- المصدر نفسه ، ص 115.

صيدلي وطبيب وحساب وفلكي وفرضي ومنطقي . وقد ألف في هذه العلوم كما عرفنا من كتابنا عنه، وكما تشهد كتبه التي ذكرها في رحلته "[1].

كان ابن حمادوش مع ذلك وفيا لتقاليد العلم والتعلم في بيئته مسايرا لها " فقد كان مهتما أيضا بالفقه والنحو والتصوف والأدب والتاريخ . وتشهد رحلته أنه كان رحالة كثير الاهتمام بطبائع الناس وغرائب الأشياء ، دقيق الملاحظة".[2]

من خلال الاطلاع على سيرة ابن حمادوش العلمية نجد أنه قد ألف أزيد من خمسة عشر مؤلفا في العلوم التي درسها سواء العلمية منها أو الشرعية أو اللغوية أو الرياضية ، فقد ألف رحلته التي جمعت كل ما يخص حياته الشخصية وسيرته العلمية وحتى أحوال البلاد وما جاورها ، فقد أطلق عليها اسم " لسان المقال في النبأ عن النسب والحب والحال " ، كما نجده قد ألف في المنطق كتابه " الدرر على المختصر" وفي الطب " الجوهر المكنون " ، وفي علم البونبة أيضا ، وعلم البلوط والإسطرلاب والربع المقنطر ، وكما ألف شرح قصيدة الربع علي كردفر، إلى جانب مجموعة من النصوص الشعرية متعددة الأغراض والمناسبات.

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 10.

[2]- المصدر نفسه ، ص 10.

سابعا: النصوص الأدبية:

أدب الرحلة في التراث العربي غني بالمعارف والفوائد، يحتشد بالكثير من الموضوعات التي تنتظر الكشف عنها، فالرحلة جنس أدبي قائم بذاته ناتج عن تراكم النصوص في متنه، لهذا ليس غريبا أن تحتوي رحلة **ابن حمادوش** كثيرا من الموضوعات، ومنها ما تعلق بالنصوص الأدبية، سواء كانت نثرا أو شعرا، ما نسعى لرصد نماذج عنه في ما يلي:

1- فنون النثر:

يضم متن الرحلة الحمادوشية عدة أنواع أدبية، كالمقامة والرسائل والعقود والخطب.سنحاول الوقوف عند كل فن أدبي على حدا بشيء من التفصيل والتمثيل.

1-1- المقامة:

حاول **ابن حمادوش** في ثنايا المقامة رصد الوضع الذي آل إليه حين خروجه من تطوان متجها نحو مراكش، وتصوير بعض المواقف التي صادفته وتعرض لها من أخطار وصعاب في ذلك الوقت، وهذا ما يبدو واضحا في مقاطع مثل قوله:

«الحمد لله، طحى بي ضيق الأسباب، وهوى الاكتساب، إلى أن خطرت من شدة الإياس، على بلاد الملك مكناس، أخوض الغمار لأجتني الثمار، وأقتحم الأخطار، لكي أدرك الأوطار، وكنت لقفت من أفواه العلماء ووصايا الحكماء، أن الخطر غرور، وأن المسافر مبرور، فشددت منطقتى، لكي أدفع أزمتي...».[1]

يظهر لنا بأن **ابن حمادوش** مهتما بإبراز الجانب الداخلي على حساب الجانب الفكري، لأنه كشف لنا عن حالته الشعورية، وعن مشاعره الشخصية وكل ما يدور في

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ،ص71-72.

ذهنه من أفكار أثناء خروجه من تطوان، وكما أنه يسرد بعض المواقف والمخاطر التي تعرض إليها أثناء خروجه من المدينة.

يتميز أسلوب **ابن حمادوش** أثناء سرده للمقامة بدقة في الوصف وروعة في التعبير، من خلال استخدامه للألفاظ التي تزداد بها جمالية النص، فنلتمس عامل التشويق والإثارة لدى القارئ.

1-2- الرسائل:

نقرأ في رحلة **ابن حمادوش** نص رسالة تعزية تلقاها المؤلف من المفتي محمد بن حسين أثناء وفاة ابنه الحسين، وأهم ما جاء فيها قوله:«...ولقد كانت نفسي غريقة في أبحر حزنها، والعين بحكم الرقة البشرية جائدة بواكف مزنها، حتى أدركتني محنتك وموت ولدك فأخذتني الصدمة وهيجت لي المحنة ... فاصبر صبر الأجواد، إنما صبر الكريم على الرزية أجمل. والله تعالى يلهمنا وإياكم الصبر، ويعظم لكم الأجر، ويريحكم من الفزع ويزيح عنكم هول الجزع...».[1]

تمثل هذه الرسالة موضوعا إنسانيا نبيلا ألا وهو تقديم التعزية، حيث أظهر المفتي محمد بن حسين في نص الرسالة المعنى الحقيقي للأخوة والصداقة، فعمل على إدخال الصبر على نفس الحزين، ودعاه ليقف موقف الراضي بقضاء الله وقدره، ثم قام بالاعتذار عن عدم حضور الجنازة.

ويجدر الإشارة إلى أن محمد المفتي في هذه الرسالة سلك مسلك سابقيه من حيث بنيته للرسالة، حيث بدأها بالبسملة والحمد لله والصلاة على النبي، ثم عرج بعد ذلك إلى موضوع الرسالة، وفي الأخير اختتم الرسالة بآيات قرآنية.

1-3-العقود:

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص150-151.

تتضمن الرحلة نصوص مجموعة من العقود، نذكر منها عقد الزواج الذي تمت صياغته يوم عقد قران المؤلف مع ابنة عمه.

يصور العقد إلى جانب أسمي الزوجين والمهر تفصيلا مهما يخص الشروط والمفاهمات التي وقعت بين الزوج وولي الزوجة، ما يعكس جانبا عن الحياة الاجتماعية في الجزائر آنذاك، إذ جاء في العقد ما يلي:

« الحمد لله، تزوج على بركة الله وتوفيقه المكرم الشاب عبد الرزاق ابن الحاج محمد ابن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمه، المكرم الحاج أحمد الدباغ ... على صداق مبارك ما بين نقد محضر وحال منظر و كالي مؤخر بستمائة دينار... وقفطان واحد مؤبرا... وثلاثة قناطير صوف، وأوقيتين اثنتان جوهرا، وأمة واحدت من رقيق السودان الصالح للخدمة... أنكحها إياه بما سمي فيه والدها المذكور... لما ملكه الله من أمرها، وقبل الزوج المذكور النكاح وارتضاه وأوجبه على نفسه وأمضاه... فبعد انعقاد النكاح بينهما وانبرامه التزم والد الزوجة المذكور للزوج بالسكنى مدة الزوجية بينهما من غير كراء يلزمه...».[1]

ولا ينتهي العقد هنا بل ضم شروطا للزوجة على زوجها نفهم فحواها في نصه:

«كما طاع الزوج لزوجه ألا يتزوج عليها ولا يتسرا معها غيرها إلا بإذنها و رضاها، فإن فعل شيئا من ذلك أو أكرهها عليه فقد جعل أمرها بيدها بطلقة بائنة تملك بها نفسها إن شاءت...».[2]

من خلال ما سبق يتضح أن **ابن حمادوش** استطاع أن يصور مكانة الزواج في تلك الفترة، حيث ركز على القيمة المالية في تعريفه للصداق أو الأشياء القيمة التي لها قيمة مالية كقفاطين وقناطير الصوف إلى غير ذلك مما سماه في العقد، وقيمته

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 241-242.

[2]- المصدر نفسه ، ص 241-242.

حسب الأهمية الاجتماعية للزوج ، وفي المقابل أهمل القيمة المعنوية كرمز للتعاطف والمودة، دون أن نغفل عن طبيعة الشروط التي تضاف على العقد من الطرفين.

1-4-الخطب:

ذكر ابن حمادوش عديدا من الخطب التي ألفها، أغلبها خطب زواج تشبه إلى حد ما ديباجة عقود الزواج التي رأيناها سابقا. يقول مثلا في واحدة من الخطب:

«الحمد لله ذي اللآلاء والنعم، ومخرج الإنسان إلى الوجود من العدم، ومفضلنا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم، فأحل لنا النكاح وندبنا إليه وحرم عينا السفاح ونهانا عنه...»[1].

2-الشعر وأغراضه:

تعددت أنواع الموضوعات الشعرية التي سجلها ابن حمادوش في رحلته، حيث كان ضمت الرحلة قصائد وقطع شعرية تنتمي إلى أغراض متنوعة : كالمدح والرثاء والحنين إلى الوطن، نذكر منها:

2-1-المدح:

يعتبر المدح أحد أغراض الشعر التي يميل إليها كثير من الرحالة أثناء رحلاتهم، حيث يمدحون بعض من يصادفونه كالملوك أو الوزراء وغيرهم، وهذا ما نلتمسه عند **ابن حمادوش** في قصيدة مدح بها السلطان عبد الله وهنأه فيها حين قهر الباشا، حيث يقول:

أمولاي عبد الله بشرك الهنا بكل الذي تبغي من الفتح والنصر

وساقت رياح السعد جارية الهنا لساحل بحرك المفيض على اليسر

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص246.

كأنك بحر في العطاء ومن يكن كمثلك حق أن ينال من الظفر

وذلت لك الأعداء حتى كأنها أرانب لا تعدو خطاها عن الحجر[1]

لم يكتف **ابن حمادوش** بتأليف قصيدة واحدة في موضوع "المدح"، بل ذكر له في هذه الرحلة قصائد مدحية أخرى.

2-2-الرثاء:

يعد الرثاء من أهم الأغراض الشعرية التي تقوم على وصف الناس بذكر صفات حسنة لهم، وهذا ما نلمسه في قصيدة رثاء فريدة في الرحلة ككل، كانت في رثاء ابن حمادوش للشيخ أحمد بن مبارك، منها قوله:

رثيتك محزونا وكل الورى مثلي وأنى لنا شخصا كمثلك في الحلم

يحق لنا أن نبكي العمر بالدما عن العالم النحرير إذ ثوى في الرم

لقد طال ما أبكى اليراع بكفه على عائق الوسطى يحثه للرسم

وقد زعم الراءون يبكي جلالة من الشيخ إذ يلجيه للنشر بالعزم [2]

يصور ابن حمادوش موت الشيخ "ابن المبارك" بالفاجعة،كما يصف الألم الذي أصابه عند فقدان ذلك الشيخ بإظهار مشاعر الحزن والأسى، باستعمال تعابير وألفاظ موحية.

2-3-الفخر والهجاء:

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ،ص97.

[2]- المصدر نفسه ، ص88.

يقوم **ابن حمادوش** أحيانا بالافتخار بنفسه، ويهجو في القصيدة ذاتها المفتي ابن علي، ولعل اللافت في هذه القصيدة افتخار المؤلف بانتسابه إلى آل بين النبي (ص) وهذا ما يبدوا جليا في هذه القصيدة، يقول:

خرجت ذليلا لا أعود لمثلها وهل يجمع السيفان، ويحك، في غمد

فاني من اللائين فوق الثرى ترى وأنفسنا في العرش تابعة المجد

بنا جدنا في العاليات قصورنا فلا نرتضي الأدنى كبارا وفي المهد

ومن ذا يرى في العالمين قريننا ويزعم انه يفوقنا بالنقد

فان رأى حظا طاريا برق خلب فان ورثنا المجد جدا عن الجد

...

بنو هاشم خير القبائل منهم أمام الهدى جد الحسينيين المهد

حذاري حذاري إننا رحمة الورى وغصة للقالين في الحشر واللحد.[1]

يمزج ابن حمادوش أن بين غرضين مختلفين في قصيدة واحدة، فنرى أنه يفتخر بنسبه وبقومه إلى بني هاشم، ويهجو في الوقت نفسه غريمه ابن علي ويقلل من شأنه.

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص256-257.

ثامنا: الإجازة :

لقد حاز ابن حمادوش من خلال رحلته إلى المغرب على العديد من الإجازات التي سمحت له بنقل العديد من العلوم والاستفادة منها، فأول إجازة تحصل عليها كانت من شيخه الورززي بعد لزوم حلقة تدريسه ، يقول :" ثم أجازني وكتب لي ، ناولني كناشه ، فذهبت به إلى بيتي فكتبت منه ما صورته" .[1]

وفي موضع آخر يقول:" ناولني الإجازة –الورززي– كما أخبرتك أولا ، وهي قوله: "حدثنا الشيخ... فطلبت منه الإجازة فأجاز لي مشافهة مع جماعة أن نروي عنه جميع مروياته عموما ... وهذا كله بمكة المشرفة السماع مفرق عام سبعة وثلاثين ومائة وألف (1137) معظمه في المسجد الحرام وقليل في منزل الشيخ . انتهى كلامه. وله إجازات كثيرة أضربت عنها لضيق الوقت".[2]

كما صور ابن حمادوش ما كتب له الورززي بحروفه وبخطه ، ويقول فيها الشيخ الورززي :" الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.يقول الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي دارا ومنشأ /الديلمي الحميري نسبا، لطف الله به وبأهله وأسلافه وأثم عليهم نعمته بدخوله جنته ورضاه بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، أن الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش الجزائري دارا ومنشأ ، رغب أن يسمع مني ما سهل الله سبحانه من الحديث مما سمعته عن أشياخي رحمنا الله وإياهم ، فأسعفته في رغبته ... وكتب أحمد المذكور ضحى الخميس سابع عشر المحرم ، عام 1156 بمدينة تطاون ، أمنها الله وحرسها بمنه آمين"[3].

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ،ص36.
[2]- المصدر نفسه ، ص 36-37.
[3]-المصدر نفسه ، ص 37-38.

رفع المؤلف إجازته في الجمعة الموالية للشيخ البناني فرآها وسردها ، كما وعده أن يأتيه بكراسته التي ذكر فيها مشائخه وأجازه،دالا على ذلك ببيت من الشعر نصه:

أجزت لكم مروينا مطلقا وما لنا، سائلا أن تتحفوا بدعاء [1]

نقل المؤلف من فهرسة البناني ما أراده مختصرًا الكثير من الكلام ، لكن البناني رفض ما قام به بحيث رفض أيضا منحه الإجازة على ذلك النقل الموجز ، فكان من واجب المؤلف أن ينسخ الكثير حرصا على الإجازة والأمانة المعطاة له من طرف شيخه ، تدارك المؤلف الوضع وندم على ذلك وقام بنقل الفهرسة كما يجب ، وبهذا تحصل على إجازة البناني له ، لقوله البناني:

" وبعد ، فان الفقيه الأجل ، العلامة الأفضل المدرس الأحفل ، الشريف الأمثل ، السيد عبد الرزاق الجزائري المالكي المذكور أعلاه قد تردد إلي في طلب العلم الشريف، وحضر لدي في غير ما درس للعلم المنيف، حضور استفادة وتحصيل ، جاد في الطلب بأيما تأصيل... أجزت الفقيه المذكور جميع ما يجوز لي و عني روايته ... وغير ذلك مما جمعته أو نظمته، إجازة تامة مطلقة عامة..."[2].

تحصل ابن حمادوش على أربع إجازات من شيوخ المغرب، يذكرها بعناية كبيرة في رحلته،هي إجازة الورززي ثم إجازة البناني ثم إجازة السرائري، أما الأخيرة فقد كانت من طرف شيخه أحمد بن المبارك.

[1]- ابن حمادوش: لسان المقال ، ص 39.
[2]- المصدر نفسه ، ص 62-63.

خاتمة

تعتبر رحلة ابن حمادوش جزءًا هاما من تراث الجزائر و المغرب ، نظرًا لكونها كتبت في العهد العثماني، وتضم من المعلومات المتعلقة بالبلدين الشيء الوفير.

وبالنظر إلى أن عدد كتب الرحلات الجزائرية ضئيل جدًا في العهد المذكور، فإن رحلة ابن حمادوش ذات قيمة كبيرة وأهمية بالغة، لما تزخر به من المعلومات الكثيرة عن شتى الميادين سواء السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية عن عصر كاتبها و معاصريه ، كما أنها مصدر هام عن حياة المؤلف ذاته .

لقد كاد الإهمال يأتي على هذه الشخصية البارزة في تاريخينا الثقافي لولا مخلفاته الأدبية و العلمية التي حثت العلماء على الاهتمام به بعد وفاته، وهو الذي عاش خلال القرن الثاني عشرة للهجرة و الثامن عشر للميلاد (12 هـ / 18 م) ، وعرف برحلاته و تجاربه الطبية في المغرب العربي، عاش حياة فقيرة عانى منها من جميع النواحي سواء من الناحية الجسدية أو الناحية الفكرية ، والمؤسف أن كتبه ومذكراته لم يصلنا منها إلا القليل ، فالرحلة التي بين أيدينا تمثل الجزء الثاني منها فقط، أما الجزء الأول فهو ضائع حسب ما صرح به أبو القاسم سعد الله أثناء تحقيقه للرحلة، فلو حضر الجزء الضائع لتمكننا من معرفة معلومات أكثر عن حياة ابن حمادوش و مجرياتها .

إن الهدف الذي سعينا لأجله من خلال تطبيق المنهج الموضوعاتي علىرحلة ابن حمادوش الجزائري ، هي التقرب من منجزه الرحلي للتعرف والتعريف أكثر بشخص المؤلف وأهم الموضوعات التي كتب فيها وتطرق لها وأهم المميزات التي امتاز بها في كتاباته ومؤلفاته . وتبعا لذلك توصلنا إلى النتائج الآتية :

- أن نمط كتب الرحلات فن قائم بحد ذاته يحوى على العديد من المعلومات التي قد تهم مختلف الفئات العلمية و الأدبية و غيرها، حسب تنوع الدوافع التي قادتهم للقيام برحلاتهم .
- للرحلة أهمية في التعرف على حضارات الشعوب ، فلولا تلك الرحلات التي قام بها الرحالون الشغوفون بحب العلم و المعرفة و الاكتشاف لما وصل إلينا هذا الرصيد من التراث البشري .
- تعتبر رحلة " ابن حمادوش " قطعة مهمة من تراث الجزائر خلال القرن الثامن عشر بحيث كتبت في العهد العثماني ، و هذا ما صرح به أبو القاسم سعد الله في مقدمة تحقيقه للرحلة .
- تعد مصدرا مهما لحياة المؤلف بعد أن ضاعت مؤلفاته ، فهي مرآة أسفاره و نشاطه العلمي .
- من خلال الرحلة نتعرف على عادات و تقاليد البلدان التي ارتحل إليها الرحالة ، و أهم ما تتميز به تلك البلدان .
- أن رحلة ابن حمادوش رحلة ذات مواضيع مختلفة وغير مترابطة مما أدى إلى غياب الوحدة العضوية .
- قام ابن حمادوش بالجمع بين النثر والشعر أثناء تناوله للموضوعات .
- اعتمد المؤلف على التسلسل الزماني في سرد مجريات رحلته ، بحيث يعطي التوقيت بالتحديد، فالزمن قلب الرحلة و مسير أحداثها .
- اللغة الموظفة في الرحلة لم تكن فصيحة في كل المضمون ، فكثيرا ما استعملالمؤلف عبارات عامية.
- جمعت رحلة ابن حمادوش بين التراث الجزائري و التراث المغربي، فيما تشابه فيهما، و فيما تميز كل واحد منهما عن غيره.

قائمة المصادر

و

المراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

أوّلا : المصادر و المراجع :

-أبو منصور فؤاد ، النقد البنيوي الجديد بين لبنان وأوروبا ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1985 .

-ابن منظور ، لسان العرب ، تح عبد الله علي الكبير و آخرون ، مج 3 ، ج 18 ، دار المعارف ، القاهرة .

- إغناطيوس يوليانوفيتش كراتشوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1987 .

-باشلار غاستون ، شاعرية أحلام اليقظة ، تر جورج سعد ، مج المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1991 .

-بن يعقوب مجد الدين محمد الفيروز الآبادي ، قاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط 8 ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 2005 .

-ابن حجاج مسلم ، صحيح مسلم ، متون الحديث الشريف ، دار الكتب العلمية ، ج 17 ، بيروت ، 1992 .

-ابن حمادوش الجزائري عبد الرزاق ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ، تح أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

-حسن عبد الكريم ، نقد المنهج الموضوعاتي في شعر السياب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ن دمشق ، 1983 .

–حمادي عبد الله ، أصوات من الأدب الجزائري الحديث ، دار البعث ،قسنطينة ، الجزائر ، 2001.

–حجازي سمير ، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، 1988 .

–حليفي شعيب ، الرحلة في الأدب العربي ، التجنيس – آليات الكتابة – خطاب المتخيل ، الهيئة العامة لفصور الثقافة ، أبريل ، 2002.

–الزركلي خير الدين ، الأعلام ، ج 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984.

– سعد الله أبو القاسم ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ، ج 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990.

–سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1998 .

–سعيدوني ناصر الدين ، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1999 .

– شافعي محمد بن إدريس ، ديوان الإمام الشافعي ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة ، الجزائر ، 2001 .

– شوكة إبراهيم ، الجغرافيا العربية حتى نهاية القرن العاشر ميلادي ، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، 1990 .

–شوابكة نوال عبد الرحمن ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، تقديم صلاح جرار ، دار المأمون للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 2008 .

–ضيف شوقي ، الرحلات ، دار المعارف ، ط 4 ، القاهرة .

20–ظاظا رضوان ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 .

– عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ج 1، تح درويش جريدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2000 .

–عزام محمد ، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 .

–علوش سعيد ، النقد الموضوعاتي ، المغرب ، ط1 ، 1989 .

–الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين . آداب السفر ، دار ابن حازم للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة ، الجزائر ، 2001 .

–فهيم حسين محمد ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 138 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، الكويت ، 1989 .

– قنديل فؤاد ، أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط 2 ، 2002 .

–موافي ناصر عبد الرزاق ، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع ، دار النشر الجامعات المصرية ،القاهرة ، ط 1 ، 1995 .

–مجموعة من المؤلفين ، مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي ، تر وائل بركات وغسان السيد ، مطبعة زيد ابن ثابت ، 1994 .

– ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، دار صادر، بيروت، 1986.

–يقطين سعيد ، السرد العربي ، مفاهيم و تجليات ، ط1 ، رؤية لنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2006 .

ثانيا : المجلات و الدوريات :

– بطرس إنجيل ، الرحلة في الأدب الانجليزي ، مجلة الهلال ، العدد 7 ، مصر ، يوليو ، 1975 .

– حسن عبد الكريم ، نقد المنهج الموضوعي ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت.

– شريم جوزيف ، الاتجاهات النقدية و النفسانية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 18–19 ، بيروت ، 1984 ..

–عزام محمد ، المنهج الموضوعي ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب، العدد 365 ، دمشق ، 2001 .

ثالثا : الرسائل الجامعية :

– روباش جميلة ، أدب الرحلة في المغرب العربي ، رسالة دكتوراه ، جامعة خيضر بسكرة ، الجزائر ، 2015 .

رابعا : المواقع الالكترونية :

–حمداوي جميل ، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي ، 22 فيفري 2009 ، . . nadwah.comhttps:www.arabicwww.arabic/

– خضير مجد ، مفهوم أدب الرحلة ، 25 سبتمبر 2016 / 8:31 ، . http://mawdoo3.com

– علوش سعيد ، النقد الموضوعاتي ، تنسيق عز الدين العمراني ، النسخة المنقولة من موقع المؤلف ، http://www.saidallouche.net/deu/ctheLindex.htm، شركة بابل للنشر و الطباعة ، المغرب ، 1989 .

– علوش سعيد ، النقد الموضوعاتي" وضعية النقد الموضوعاتي" ، من موقع سعيد علوش ، http://www.saidallouche.net/deu/ctheLindex.htm .

– قاسي محمد رضى الرحمن ، الرحلة وآدابها في اللغة العربية ، دراسة تاريخية ، مجلة الداعي الشهرية ، دار العلوم ، العدد 6–7 ، ديبوند ، أبريل–يناير 2013 ، بالرجوع إلى : http://darululoom.deband.com .

فهرس

الموضوعات

الصفحة

مقدمة 02

الفصل الأول : أدب الرحلة

1-مفهوم الرحلة 07

أ- لغة 07

ب- اصطلاحا.....07

2- مفهوم أدب الرحلة 10

3- دوافع الرحلة و أغراضها و أنواعها.....12

أ – دوافع الرحلة و أغراضها 12

1 – دوافع دينية 12

2 – دوافع اقتصادية 12

3 – دوافع سياسية 13

4 – دوافع علمية و تعليمية 13

5 – دوافع ثقافية و سياحية 13

6 – دوافع صحية 14

7 – دوافع اجتماعية 14

8 – دوافع حربية 15

9 – دوافع أخرى 15

ب – أنواع الرحلة 15

1 – الرحلة الدينية 15

2 – الرحلة العلمية 17

3 – الرحلة التجارية 18

4 – الرحلة الرسمية 20

5 – الرحلة السياحية 21

4 – التعريف بابن حمادوش الجزائري 22

5 – ملخص الرحلة 26

الفصل الثاني : المنهج الموضوعاتي

1 – تعريف الموضوعاتية لغة واصطلاحا..... 32

أ– لغة 32

ب– اصطلاحا 33

2 – نشأة وتطور المنهج الموضوعاتي 35

3 – أهم أعلامه وأهم المقولات والآراء والاتجاهات فيه 40

4 – أهم الآليات الإجرائية في التحليل الموضوعاتي 44

5 – المنهج الموضوعاتي في أدب الرحلة: حقول النص الرحلي 46

1 – السيرة 47

2 – التراجم 47

3 – التاريخ 47

4 – الجغرافية 48

5 – السجلات الاجتماعية 48

6 – الخانة الفارغة 48

الفصل الثالث : موضوعات الرحلة

1 – السير والتراجم 51

2 – التصوف 55

1 – زيارة الأضرحة 55

2 – التعريف بالمتصوفة 56

3 – الأوردة والكتب الصوفية 57

3 – العادات والتقاليد..... 58

1 – العادات والأنظمة الاقتصادية 58

2 – العادات الاجتماعية والتقاليد الدينية.....59

4 – تأليف الكتب 61

5 – التأريخ 66

1 – تزوير اليهود وثيقة لإسقاط الجزية 66

2 – الاضطرابات السياسية بالمغرب 66

3 – خسوف القمر 67

4 – حادثة رفض النصارى فدية الأسرى الجزائريين وغضب الأمير 68

6 – حياة المؤلف وسيرته 69

1 – حياته العائلية 69

2 – سيرته العلمية 70

7 – النصوص الأدبية 72

1 – فنون النثر 72

2 – الشعر وأغراضه 75

8 – الإجازة 78

خاتمة 81

قائمة المصادر و المراجع 84

فهرس الموضوعات 90

الملخص:

تعد رحلة ابن حمادوش الجزائري الموسومة ب لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال جزء من التراث الثقافي الجزائري والمغربي لما حوت على وصف لعادات وتقاليد أهل الجزائر والبلد المرتحل إليه "المغرب"، فقد عمد فيها المؤلف إلى طرح العديد من المواضيع بحيث تجسدت على أشكال مختلفة في نص الرحلة، ولدراستها استعنا بالمنهج الموضوعاتي الذي يقوم أساسا على تقصي المواضيع ودراستها.

الكلمات المفتاحية:

رحلة ، ابن حمادوش الجزائري ، لسان المقال ، المنهج ، الموضوعاتية ، أدب الرحلات،